

الأصل في اللغة

دراسة أنطولوجية في قصيدة تراكل

" أمسية شتوية "

دكتورة

صفاء عبد السلام على جعفر

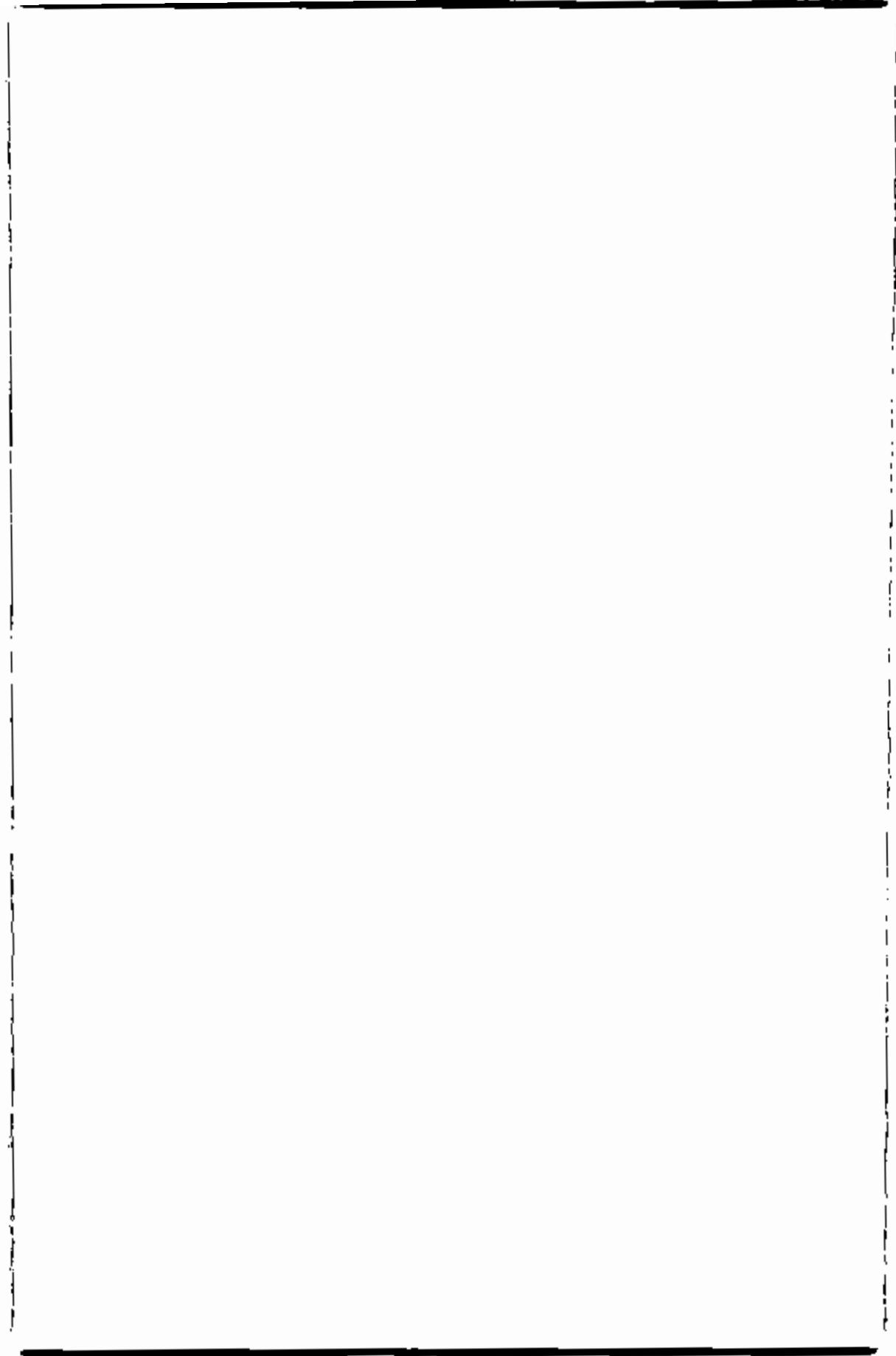
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

قسم الفلسفة

الناشر

دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر

تليفاكس: ٥٢٥٤٤٢٨ - الإسكندرية



المقدمة

... نحن أبناء هذا العصر قد نشعر بصعوبة في أن تكون لدينا تجربة أصاية مع اللغة "حتى إذا كانت هذه التجربة تواجنا ، وتلفت انتباهنا إلى حقيقة علاقتنا باللغة؛ ذلك أن الفوص في تجربة مع اللغة - وهو هدف هايدجر من محاضرة "اللغة" موضوع هذا البحث - يختلف عن مجرد إحصاء معارف ومعلومات عنها ، وهو الأمر الذي تضطلع به العلوم المتنوعة التي تتناول اللغة ومنها علم اللغة ، وعلم لغة اللغة ، وعلم النفس ، ولسنة اللغة ، وما بعد اللغة.

وعلى الرغم من أهمية هذه العلوم ، فإن محاولة الوصول إلى "تجربة مع اللغة" أمر جد عسير ، وعلينا أن نتعامل مع هايدجر عن الطريق الذي يمهّد لنا الوصول إلى تلك التجربة^(١) ، من خلال البحث في "الأصل في اللغة" أو ماهيتها الأناسية من وجهة نظر أنطولوجية .

إن إنسان هذا العصر يحيا حياة "الإطار" Gestell أو الشكل "دون المحتوى" التي تخلو حقاً من معنى السكن والإلف ، والكشف عن هذا المعنى هو أحد أهداف هذا البحث^(٢) .

-
- (1) Kockelmans, J.J. : "On The Truth of Being-Reflectins On Heidegger's Later Philosophy", Indiana Uni- Press, Bloomington, U.S.A., 1984, P.159-160 .
 - (2) Heidegger, M. : "Poetry - Language- Thought, trans, by A. Hofstadter, Harper & Row Publishers, New York, U.S.A., 1975, P. XIII.

أكد هايدجر دوماً أن تاريخ الميتافيزيقا التقليدية هو تاريخ نسيان الوجود، وهايدجر يحاول أن يذكرنا بغياب الوجود عنا، وبأننا نحيا في زمن لم يعد يفكر تفكيراً حقيقياً في هذا الغياب، وهو يهدف من ذلك إلى "التحول" نحو الوجود، وهو ما لا يمكن التنبؤ بموعد حدوثه^(١).

إن محاضرة "اللغة" عند هايدجر هي دراسة في أصل اللغة لا في استخدامها ووظائفها؛ إنها دراسة في ماهيتها التي يكون بها الوجود، وليست مجرد وسيلة أو أداة؛ فهي اللغة التي تمنح، وتعطي، وتحرر، وتسير، وهي في ذلك ليست قوة متعالية كما جاء في الفهم الميتافيزيقي التقليدي^(٢).

ويعنى ذلك أن "التفكير في الوجود" عند هايدجر لا يوجد إلا حيث توجد لغة الوجود التي ينصت إليها الإنسان^(٣). إن ماهية اللغة هي القول^(٤)، والقول في اشتقاقه الأصلي من اللغات الهندو-أوروبية يعنى "الإشارة" و"الدلالة"، و"الإظهار"، والإظهار مرتبط بإثارة الوجود التي تحرر، وتعطي، وتمنع، وتخفى، وهي تظهر "العالم" في العمل الفني مثلاً الذي يظهر حقيقة الوجود أو يحجبها.

(١) نداء الحقيقة - ترجمة ودراسة وتقديم عبد الغفار مكاوي . سلسلة النصوص

الفلسفية (٩) دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص : ٢١٠ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٢١٨ .

(3) Kockelmans, J.J. ; "On The Truth ..", P.158.

(٤) حاول هايدجر أن يرجع بالقول Sagen إلى كلمة Sage و Saga ، وهي الحكاية الخرافية المأثورة - دون أساس تاريخي- عن خوارق الأبطال في آداب الشعوب الشمالية .

(قارن : عبد الغفار مكاوي : نداء الحقيقة ، ص : ٢١٥) .

إن اللغة هي القرب الكامن في قوى العالم الأربع : الأرض - السماء -
الفانون - الخالدون ، وهي "التجميع الأصلي" في تفسير هايدجر لكلمة "اللوجوس"
عند هيرقليطس ، وهي لذلك ساكنة وبلا صوت ، لأنها هي التي تنعم على الإنسان
بفعل "يوجد" بحيث تكون لغة "السكنة" هي لغة الساهية كما سيأتي بيانه. واللغة "
تعبّر" ، وهي بذلك "تدل" ، و"تشير" ، وتصل إلى كل جهات الوجود ؛ فتظهر
الموجودات أو تحجبها ، والإظهار "حدث يدركه الإنسان" بالإنصات إلى حديث
اللغة" ، وحديث اللغة هو "الحدث" الذي يمنح الإنارة والانفتاح للموجود ، ويعطيه
كلمة "يوجد" ويرد الموجود إلى أصله .

أما عن "النطق" فهو في حقيقته تطابق مع قول اللغة وحديثها ؛ فاللغة
تستخدم الإنسان لكي ينطق عما تقوله اللغة الساكنة" على حد تعبير هايدجر^(١).



أولى "هايدجر" الشعر - بوصفه ماهية اللغة الحقيقية - عناية خاصة ، واستشهد
في ذلك بعبارة فريدرش هيلدرلين Hölderlin (١٧٧٠-١٨٤٢ م) الشاعر الألماني
الحديث : إن أحب الأحباب - أي الشاعر والمفكر - يكونون على جبلين منفصلين ،
وإن كانا متجاورين^(٢) .

(١) عبد الغفلر مكاوي : تداء الحقيقة ، ص : ٢١٨-٢١٩ .

(٢) عبد الغفلر مكاوي : شعر وفكر - دراسات في الأدب والفلسفة ، الهيئة المصرية

العامة للكتاب ، ١٩٩٥ ، ص : ٦٢ .

وجدبر بالذكر أن الشعر عند "هيلدرلين" -الذى حظى باهتمام كبير لدى هايدجر- هو أكثر المشاغل براءة وخطراً ، لأنه شكل من أشكال اللعب أو خلق الصور والأخيلة بحرية من "مادة" اللغة ، واللغة "أخطر" ما أعطى للإنسان لأنها تجمع البشر فى "أساس" وجودهم وتشعرهم بالكينونة ، وتناهى بهم عن ضجيج وثرثرة الحياة اليومية الزائفة .

إن الوجود الإنسانى فى صميمه "وجود شعرى" Poetical - dichterisch ، لأن الإنسان كما يقول هيلدرلين يسكن على الأرض سكناً شعرياً^(١) .

أما عن غاية الفللفة والشعر الأخيرة فهى العودة إلى "الأصل" أو "للوجود الذى يظهر كل موجود" لكى يتحد بالكل ، فيعود التجانس^(٢) والكينونة .

واللغة بوجه عام ، ولغة الشعر بصفة خاصة ليست مجرد أداة للتفاهم ؛ وإنما هى التى تكفل للإنسان إمكانية أن يظل منفتحاً للوجود ، وأن يصبح موجوداً تاريخياً ؛ فاللغة هى "الحدث" الذى يتحكم فى أعلى إمكانات الإنسان ، وعاهيتها لأفهامه إلا بالرجوع إلى ماهية الشعر نفسه ، لأنه اللغة الأولى التى تؤسس الوجود بالكلمة^(٣) .

يتضح مما سبق أن الشعر عند هايدجر "تأسيس" بالكلمة وفى الكلمة ؛ فهو يدعم صلة الإنسان بالوجود بحيث يصبح "الشعراء" هم الذين يكشفون عن حقيقة الوجود ، لأنهم وحدهم الذين يؤسسون ماهو باقى ، والباقى هو الوجود نفسه الذى يتجلى فى نوره كل موجود ، ويتم ذلك عن طريق القول الحقيقى الذى "يسمى"

(١) نفس المرجع ، ص : ٥٠ - ٥٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٥٤ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٥١ .

رباع العالم الفريد كما سيأتي بيانه ، وبهذه التسمية يؤسما في الوجود ، ووضعها في نوره ، وهذا القول الجوهرى هو الشعر ، والشاعر ينطق بواسطته عن حقيقة الوجود^(١).

* * *

يقع هذا البحث تحت عنوان "الأصل في اللغة- دراسة أنطولوجية في قصيدة تراكل أعية شعرية" ، وجنورج تراكل (Trakl.G. ١٨٨٢م - ١٩١٤م) هو شاعر نساوى تعبيري expressionist ، تأثر في مرحلة مبكرة من تكوينه بيودلير ، والرومانتيكيين الجدد ، وريمبو ، وتناول شعره موضوعات عدة مثل الليل ، والغروب ، والحزن ، والإثم ، والمعاناة ، والموت ، والتطلع إلى الجمال . أما عن أسلوبه فيتعبد عن الإتجاه الشخصى ، تعبيراً عن الحزن والاكتئاب العميق^(٢).

والتعبيرية في شعر "تراكل" نظير في إبداعه تكوينات من الصور المجازية ، وكل صورة لها مذاق انفعالى خاص ، وترتبط مع سائر الصور المجازية في القصيدة ، ومع ذلك فالقصيدة عنده لا تتكون من سلسلة متسقة من المفاهيم والأفكار بقدر ما هي سبل متدفق من الصور غير المتسقة ؛ إن شعر "تراكل" ليس نسقاً من الأفكار ، وإنما مجموعة من الصور والاستعارات المجازية المتدفقة التي تمثل حلماً غير متمق الأجزاء .

(١) نلس المرجع ، ص : ٧٢ .

(2) Enzyklopädie : Weltliteratur im 20 Jahrhundert , herausgeg. von Praunck M., Rowohlt, Germany, Vol.4, Juni, 1981, "Trakl. G."

وعلى الرغم من ذلك فكل لصيدة عند "تراكل" متسقة من حيث التكوين الموسيقي ، ومن حيث كونها تركيباً من الصفات الاستيطيقية المنفصلة تماماً عن الأفكار المنطقية^(١) .

ويمكن القول بأن الصورة المجازية عند "تراكل" تشبه بثة اللون في اللوحة التعبيرية ؛ فتلك البتعة لاتصف الشئ المراد التعبير عنه ، وإنما تشخص حالة انفعالية معينة يريد الرسام أن يطلعنا عليها .

ومن ناحية أخرى ، فإن "تراكل" يقوم في مذهبه التعبيري بتجريد كل ما هو غير أساسي بما في ذلك الضمير الشخصي "أنا" من وجوده ، ويعبر عن الماهية المتبقية بالمجاز ؛ فهو يجرد شخصيته الواقعية ، أو الأنا التجريبية من عوالمها الأساسية ، أو من شعورها كي تحول المضمون الذاتي إلى موضوع دون أن تخسر ما فيه من ذاتية ؛ وإنما على العكس تعمقه وتقوم بتوضيحه^(٢) .

تلک نبذة مختصرة عن "تراكل" ومذهبه التعبيري في الشعر ، ولقد وقع اختيار هايدجر على لصيدته "أنسية شتوية" لتكون محور محاضراته عن "اللغة" التي ألقاها في عام ١٩٥٠ م ، وهي المحاضرة التي يقوم عليها هذا البحث متضمناً تفسير هايدجر الأنطولوجي للصيدة سائلة الذكر .

وأما عن هدف البحث فهو محاولة الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التالية :

س١ : كيف أحدث هايدجر ثورة كوبرنيقية في تفكيره للأصل الأنطولوجي للغة ؟

(1) Sokel, W. : "The Writer in Extremes in 20 th Century German Literature , Stanford Uni. Press, California, U.S.A., 1968, P.49-50.

(2) Sokel, W. : "The Writer...", P. 50.

من ٢: ما معنى الدخول في تجربة مع اللغة عند هايدجر؟

من ٣: كيف تحدث اللغة في قصيدة تراكل من وجهة نظر هايدجر؟

وأما عن "منهج البحث" فلقد آثرنا المنهج التحليلي التركيبي النقدي لتحليل محاضرة "النعمة"، وقصيدة تراكل من وجهة نظر أنطولوجية، بهدف الوصول إلى "بناء لركيبي" يفسر لنا مؤلف هايدجر من اللغة في خاتمة هذا البحث، كما استخدمنا المنهج التاريخي أحياناً لتتبع العلاقة بين اللغة والوجود في مؤلفات هايدجر العديدة بشكل موجز تمهيداً للبحث في أصل اللغة عنده .

وأما عن محتويات البحث، فهي كما يلي: مدخل تمهيدى يتناول السؤاا عن العلاقة بين اللغة والوجود عند هايدجر، ثم المفهوم الفلسفي لمحاضرة اللغة في مؤلفات هايدجر المتطورة: ويتضح هذا المفهوم من خلال الموضوعات التالية على التوالي:

أولاً: الإنسان بوصفه إنساناً موجود يتحدث .

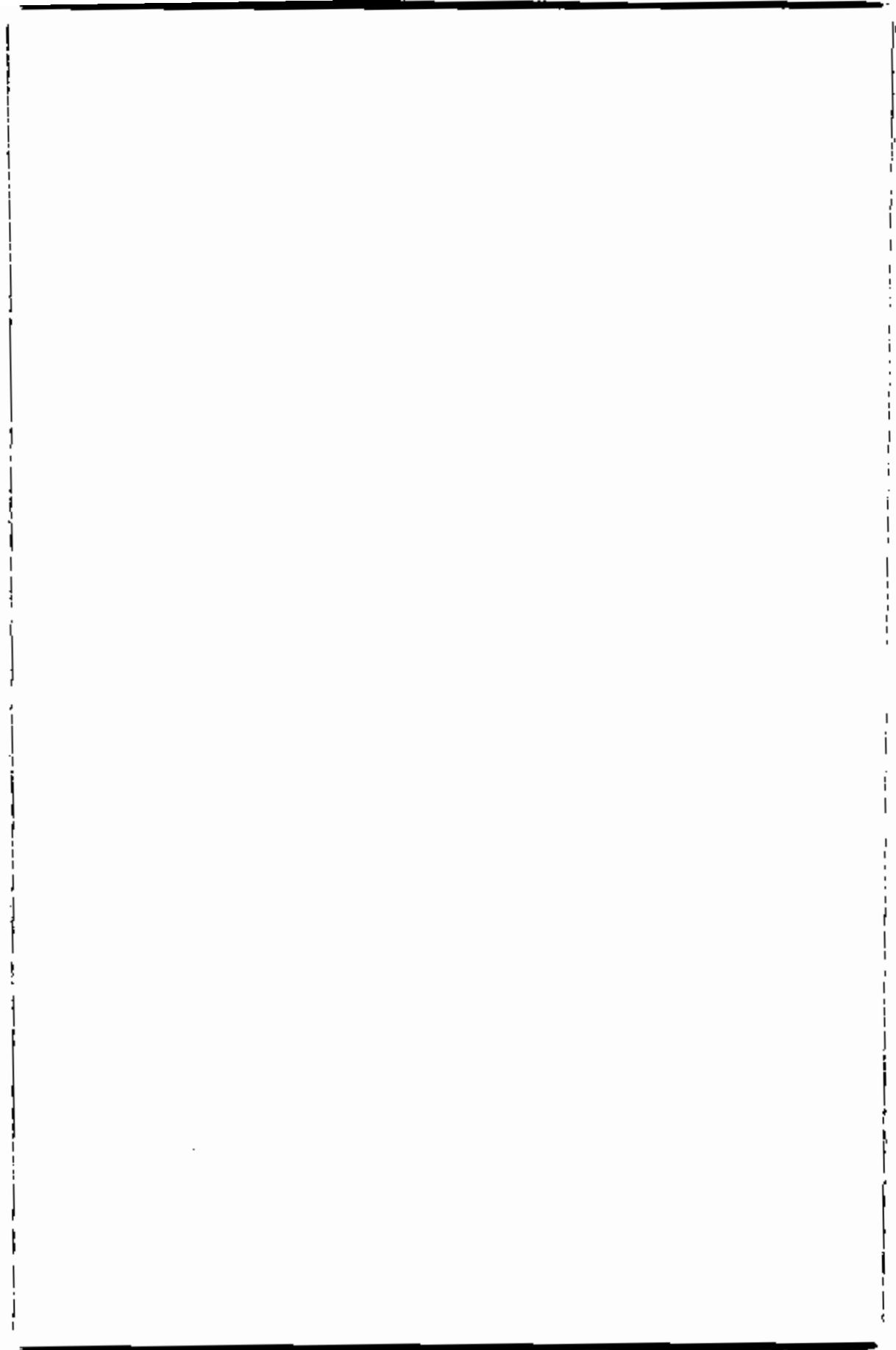
ثانياً: اللغة تحدث .

ثالثاً: ماهية اللغة هي لغة الماهية .

رابعاً: علاقة القرب بين الشعر والتفكير .

خامساً: التفسير الأنطولوجي لقصيدة تراكل . وفيه نتناول البنية الفنية للقصيدة، ومعنى "التسمية" في القصيدة من وجهة نظر هايدجر، ثم تفسيره الأنطولوجي لرباع العالم الفريد كما جاء في القصيدة . ثم تأتي خاتمة البحث وفيها محاولة للإجابة على الأسئلة الثلاثة التي وردت في المقدمة، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع، وثبتت بأهم المصطلحات الواردة في البحث .

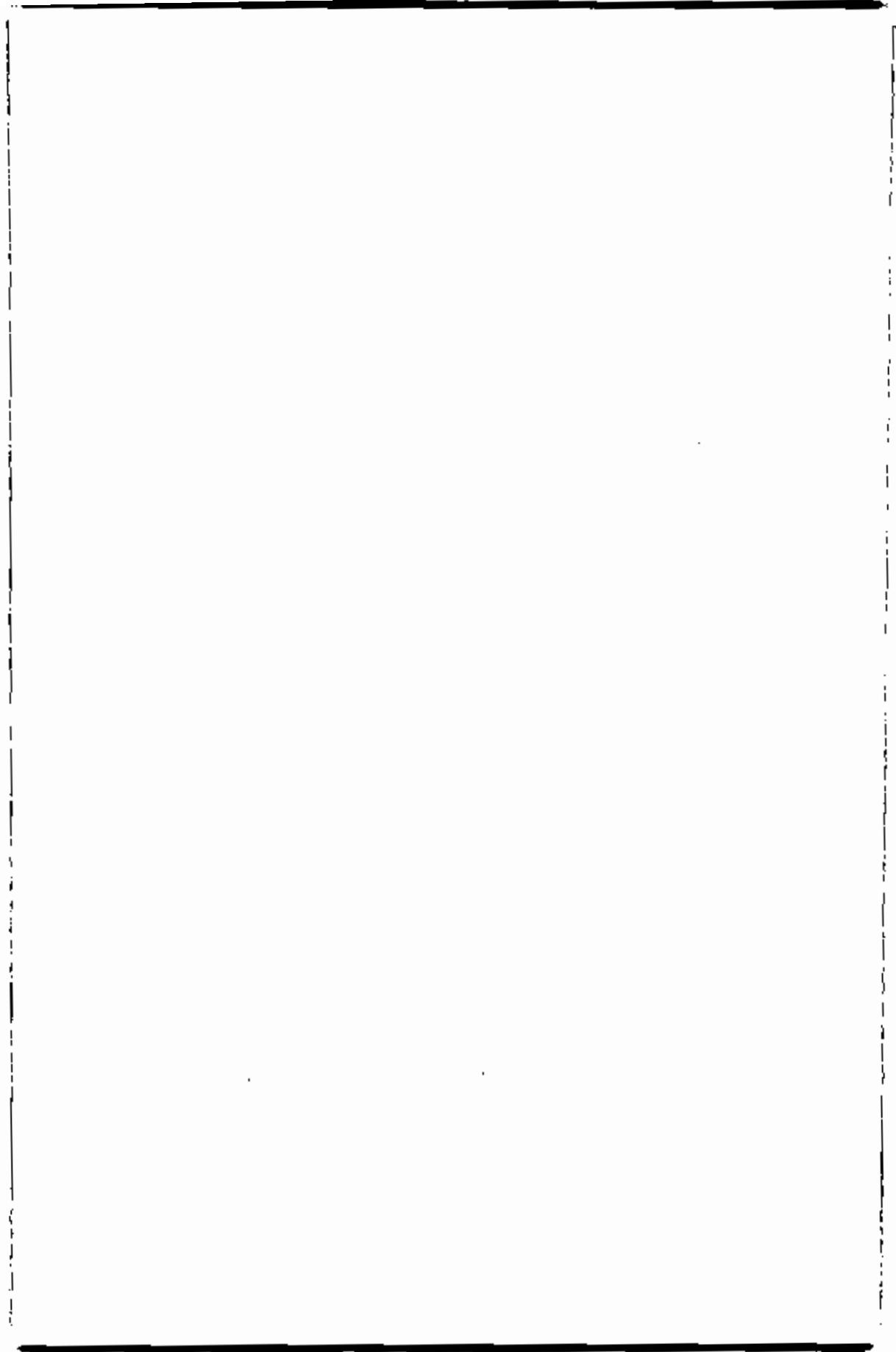
وابله المؤلف ،،



مدخل تمهيدى

(السؤال عن العلاقة بين

اللغة والوجود عند هايدجر)



السؤال عن العلاقة بين اللغة والوجود هو أحد الموضوعات الهامة التي شغلت هايدجر منذ بداية تفكيره الفلسفي؛ فقبل أن يكمل أطروحته للدكتوراه كتبت في دراسة له عن المنطق أنه يرغب في أن يكتشف العلاقة الضرورية بين اللغة والمنطق حتى يمكن أن نعتبر أن الموجود موجود بالفعل أو موجود حقيقياً.

وظهر اهتمام هايدجر باللغة واضحاً^(١) في أطروحته للدكتوراه وهي بعنوان: "نظرية التحكم في النزعة الانفسية في المنطق"^(٢) عام ١٩١٤م ورسالة المؤهلة للتدريس بالجامعة عن "نظرية المقولات والمعنى عند دuns سكوتس ١٩١٦م، وفيها ذهب إلى أن "المقولة" تشير إلى وجود الموجودات، و"المعنى" يفترض العلاقة بين الوجود واللغة التي تعبر عنه.

وعلى الرغم من أن هايدجر في عام ١٩٢٢م كان له رأى سلبي عن قيمة هذه الأبحاث، فإن طريقته من المنطق إلى الأنطولوجيا كان ضرورياً للفهم الصحيح لتفكيره المتطور؛ فلقد أكد هايدجر نفسه أن إهتمامه بمشكلة المقولات بمثابة إرهاب لمفهومه المتطور عن سؤال الوجود، كما أكد أن بحثه عن المعنى والدلالة في العصور الوسطى قد أدى به إلى السؤال عن اللغة^(٣).

-
- (1) Kockelmans . J.J : "On the Truth of Being- Reflections On Heidegger's Later Philosophy", Indiana University Pres, Blomington, U.S.A., 1984, P.142.
- (٢) Die Lehre Vom Urteil im Psychologismus- 1914 .
Die Kategorien - and Bedeutungs lehre des Duns Scotus, 1916.
- (2) Ibid., P. 142 .

القي هايدجر في عام ١٩٢٠م محاضرة بعنوان "فينومينولوجيا الحدس والتعبير"^(١) أشار إليه فيما بعد تحت عنوان "التعبير والمظهر"^(٢)، وعند ذلك الحين أصبح السؤال عن العلاقة بين الوجود واللغة "محورياً" في فكر هايدجر^(٣). أما في كتابه الرئيسي "الوجود والزمان" Sein und Zeit ١٩٢٧م، فقد وصف "الآنية" Dasein بوصفها الذات الحقيقية لكل حديث عن الوجود، وأشار إلى أن الكلام الحقيقي يستل عن النظام اليمانطقي المنطقي الخاص باللغة؛ فالموضوع الأساسي في الكتاب يفترض أن كل كلام أو حديث يقوم بصورة نهائية على لغة الوجود، وقد دافع هايدجر عن ناحية من الرأي القائل بأن الكلام "يتج" المعنى إلى الحد الذي نعبر فيه بالكلمات، وبذلك فهو يتكون في اللغة، ومن ناحية أخرى وصف اللغة بأنها "إيضاح" "للوجود" أو هي المعنى الكلي حيث يكون للوجود وجود عالمي خاص به. وفيما بعد تخلص هايدجر عن فكرة أن "الآنية لغة"، ودافع عن كونها "الجهة" التي تتحدث إليها اللغة؛ فلم تعد اللغة مجرد أداة، وإنما أصبحت تتحدث بنفسها، وأصبح حديث الإنسان مجرد رد فعل لحديث اللغة مما يفترض مسبقاً أن الآنية ينبغي أن "تصت" إلى لغة الوجود^(٤).

أشار هايدجر في "الوجود والزمان" إلى أن الكلام Redu هو التركيب الأنطولوجي للآنية، وهو الذي يجعل لغة الحديث ممكنة، وإذا كانت كلمة

(١) Phenomenology of Intuition and Expression .

(٢) Expression and Appearing .

(1) Ibid., P.143 .

(2) Ibid., P.147 .

"لوجوس" Logos^(*) تعنى الكلمة ، فذلك لأنها تعنى أساساً عملية التوضيح أو لترك
الشئ ليكون مرئياً .

يتضح مما سبق أن هايدجر يربط بين الوجود وأصل اللغة برباط وثيق؛ فاللغة
بساطة هي الوجود ذاته في صورة كلمات ، ومع ذلك ففي الدلاقة بين الوجود
واللغة : لغة الآنية ، تبقى لغة الوجود في مكان الصدارة ؛ إن كلام الإنسان الحقيقي
إنما هو استجابة "لصوت الوجود الصامت" كما يرى هايدجر، والنتيجة هي أن اللغة
"تبدو" كما لو كانت في متناول الآنية أو أنها من اختراعها، بينما تكتشف الآنية ذاتها
فقط من خلال اللغة⁽¹⁾؛ ويعنى ذلك أن الآنية في حديثها يمكنها أن تصل إلى
الحقيقة فقط عندما يتجه إنصاتها وكلامها نحو قول الوجود⁽²⁾ .

وهايدجر في "لغته المتطورة" يضع الكلام الشعري الحقيقي، ولفه الاهتمام
اليومي على طرفي نقيض ، ويعبر ذلك عن اهتمامه بالتمييز بين الوجود الحقيقي
والوجود الزائف، وهو عندما أكد -متأثراً بالشاعر الألماني هيلدرلين- أن "اللغة
بيت الوجود"⁽³⁾ إنما كان يعنى أن الكلام يتأثر بالاستعمال اليومي، وأن الوجود

(*) في المؤلفات المتطورة أدى اللوجوس نورا أساسياً ، حيث أستخدم لتوضيح أن
محاولة التكبير في مشكلة الوجود يجب أن تشمل على التأمل في ماهية اللغة ،
وأن التأمل في ماهية اللغة هو الطريق الأساسي الذي ينبغي أن نسله إلى الوجود .

(Cp. Kockelmans, J.J : On the Truth... " , P.148.

(1) Ibid., P. 148- 149 .

(2) Ibid .

(**) The Saying of Being .

(**) Sprache ist das Haus des Seins .

ذاته يتكشف عن طريق الآنية المتناهية ، وأن الكلام إذا دل على الوجود الحقيقي ، فإنه يحمل طبيعة كاشفة للوجود تستضي بالتصميم الحقيقي^(١) .

وفي "المدخل إلى الميتافيزيقا" سنة ١٩٣٥ م وصف هايدجر الوجود بأنه لغة اللوجوس في ضوء الانتحاح ، ووسع الآنية أن تكون ذاتها حقيقة بوصفها ألقى الوجود نظراً لأنه لغة أولوجوس ، واستناداً إلى أن "اللوجوس" يمدنا بالأساس اللازم للاستخدام الحقيقي للكلمات ، وهو الأمر الذي يدركه الشعراء والمفكرون إدراكاً حقيقياً^(٢) .

ومن ناحية أخرى ، فقد أوضح هايدجر في "المدخل إلى الميتافيزيقا" أنه ثمة علاقة وثيقة بين السؤال عن الوجود وأصل اللغة ؛ فالسؤال عن الوجود إنما هو محاولة التعبير عن الوجود من خلال كلمات^(٣) "Zum Wort zu bringen" .

وفي محاضرات هايدجر عن هيرقليطس الشذرة B50 التي ألقاها في عام ١٩٤٤ م أشار إلى أن ماهية اللغة لا تتمثل في الصوت أو الدلالة - وهما بحق من خصائص اللغة - وذلك لأنهما لا يعبران عن المجال الذي تهتم به اللغة ذاتها، وهو - في رأي هايدجر - المجال الأصلي .

(1) Langan, T. : (The Meaning of Heidegger- A critical Study of an Existentialist Phenomenology) , Routledge & Kegan Paul, London, 1959, P. 49.

(2) Korkelmans, J.J. : "On The Truth .." , P. 150.

(3) Ibid., P. 148 .

إن الطريق إلى ماهية اللغة يقوم على الإنصات الجيد للمعنى الأصلي للكلمتين اليونانيتين Logos و Legein الأولى تعنى يقول أو يتكلم ، والثانية هى القول أو الكلام ، واللوجوس عند هايدجر هو "القول الأصلي للوجود" أو هو الوجود بوصفه قولاً ، أو الوجود بوصفه لغة^(١) .

لإذا كان الكلام حقيقياً ، فهو استجابة لقول الوجود الأصلي ، بحيث يتم ترك الموجود للانفتاح ؛ فاللوجوس هو بمثابة عملية تجميع -the gathered-togetherness للموجودات ولذاتها بوصفها قولاً أصلياً ؛ ويعنى ذلك أن هايدجر فى تلك المحاضرة يحاول أن يفكر فى ماهية اللغة من خلال ماهية الوجود^(٢) .

وفى "خطاب حول النزعة الإنسانية" *sumsinamuH ned reb* ١٩٤٢م وصف هايدجر مرة أخرى كيف أن العلاقة بين الوجود والإنسان تقوم على التفكير ؛ فالوجود من حيث طبيعته محتجب ، وعن طريق التفكير يحدث تجلى الوجود أو تكشفه ؛ وهذا الظهور يتم حدوثه فقط من خلال اللغة التى تعبر عن الوجود .

ذهب هايدجر إلى أن لغة الإنسان مثل تفكيره ، لا بد من النظر إليها بوصفها استجابة للوجود ، وأنه عن طريق لغة المفكرين العظام الذين يعبرون من الوجود تستقر الآنية فى بيت الوجود . وبشير إلى أن مهمة الآنية ليست تشييد هذا السكن ؛ إنها بالأحرى تأهم فى اكتماله عن طريق التفكير الذى هو تفكير فى الوجود ، ولما كان الوجود ذاته يكون بالفعل على الطريق إلى اللغة ، فإن تفكير الآنية يحقق

(1) Ibid., P. 150- 151 .

(2) Ibid., P. 151.

الحضور للوجود عن طريق الكلام أو اللغة؛ أو بعبارة أخرى، إن تفكير الآنية يعد الوجود بالكلمات الضرورية لاكتشافه وانفتاحه .

يقول هايدجر في "خطاب حول النزعة الإنسانية" إن التفكير في قوله الخاص يحضر الكلمة غير المنطوقة unspoken إلى مجال اللغة ، ويعنى ذلك أن الوجود يتم الكشف عنه عن طريق اللغة ، وأنه دوماً في طريقه إلى اللغة، وبذلك تصبح اللغة ذاتها إيضاحاً للوجود^(١) .

أما عن موضوع هذا البحث فهو محاضرة ألقاها هايدجر في أكتوبر ١٩٥٠م بعنوان اللغة^(٢) ، واتخذ فيها قصيدة جئورج تراكل بعنوان "أعية شتوية" مثلاً لتوضيح ماهية اللغة أو أصل اللغة من وجهة نظر أنطولوجية .

يرى هايدجر في هذه المحاضرة أن حديث التفكير الأصلي حديث شاعري Poetic- Dichterisch وليس فنياً ؛ فالمقابل للقصيدة الشعرية ليس النثر ؛ بل إن النثر الخالص ذو طبيعة شاعرية مثل الشعر ، كما أن صوت الفكر يجب أن يكون شاعرياً؛ لأن الشعر هو قول الحقيقة ، والقول هنا اكتشاف للموجودات؛ فهو يدعو كل ما يوجد إلى الحضور في وحدة الوجود التي تجمع بين الموجودات جميعاً . كما

(1) Ibid., P. 151- 152 .

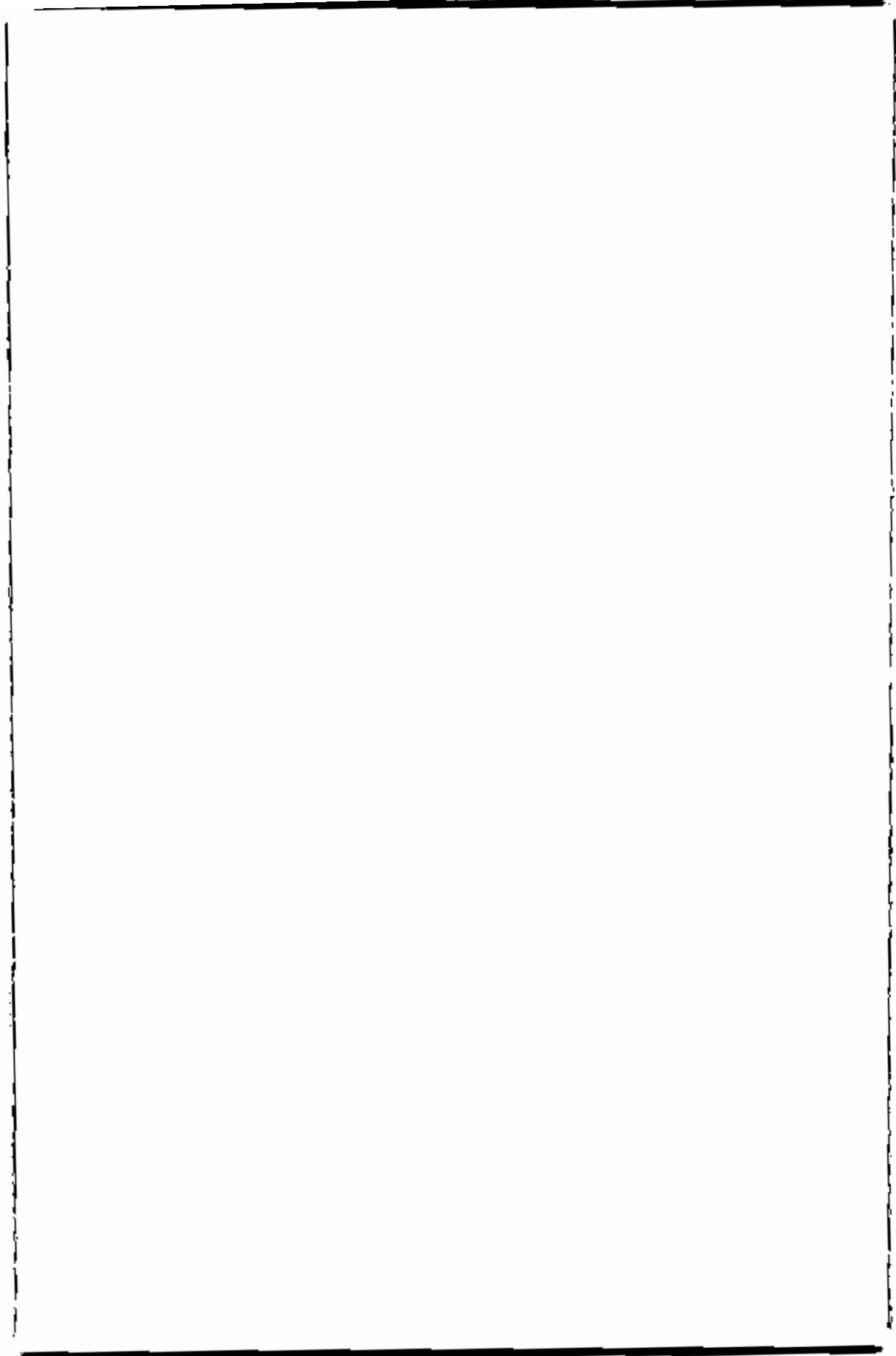
(٢) ألقى هايدجر هذه المحاضرة في السابع من أكتوبر سنة ١٩٥٠م في بولدهيمه Bühlerhöhe في نكري الناقد الأدبي ماكس كومريل M.Kommerell ، وأعيدت مرة أخرى في الرابع من فبراير سنة ١٩٥١ في شترتجارت Stuttgart ، ثم نشرت في كتاب هايدجر 'على الطريق إلى اللغة 'Unterwegs zur Sprache .
(Cp. Heidegger, M. : "Poetry Language and Thought" trans. by A. Hofstadter, Harper & Row Publishers, New York, U.S.A. 1975, P. XXV. .

سيأتي بيانه ؛ ذلك أن الشعر عند هايدجر تأسس للحقيقة ، واللغة الحقيقية هي التي تحضر من خلالها الموجودات في انفتاح الحقيقة ، وهذه اللغة هي الشعر ، لذا وقع اختيار هايدجر في هذه المحاضرة على قصيدة تراكل "أمسية شتوية" ، وهي القصيدة التي توضح لنا - كما سيأتي بيانه - أن اللغة تدعو إلى حضور رباع العالم الفريد^(١) : الأرض - السماء - الثقانون - الخالدون (رسل الربوبية) ، وتدعو الأشياء إلى الحضور ، كما تدعو إلى الدلالة الحميمة بين العالم والأشياء والفرق بينهما^(٢) .

(١) في محاضرة هايدجر عن "اللغة" انضح تأثير محاضراته عن الشعر سنة ١٩٥٠ م ، فالوجود (الواحد) يُدرك بوصفه رباعاً فريداً *das Geviert - Fourfold* ، وهذا الرباع بدوره يترك الأشياء كي توجد ، ويسمح بالتفكير في الموجودات ؛ فاللغة ليس أصلها لوجرس وصمت يجد في رحابه كل الموجودات ما يحتاجونه من راحة وسكينة .

(Cp. Richardson W.J. : *Heidegger , Through Phenomenology to Thought* , P.577) .

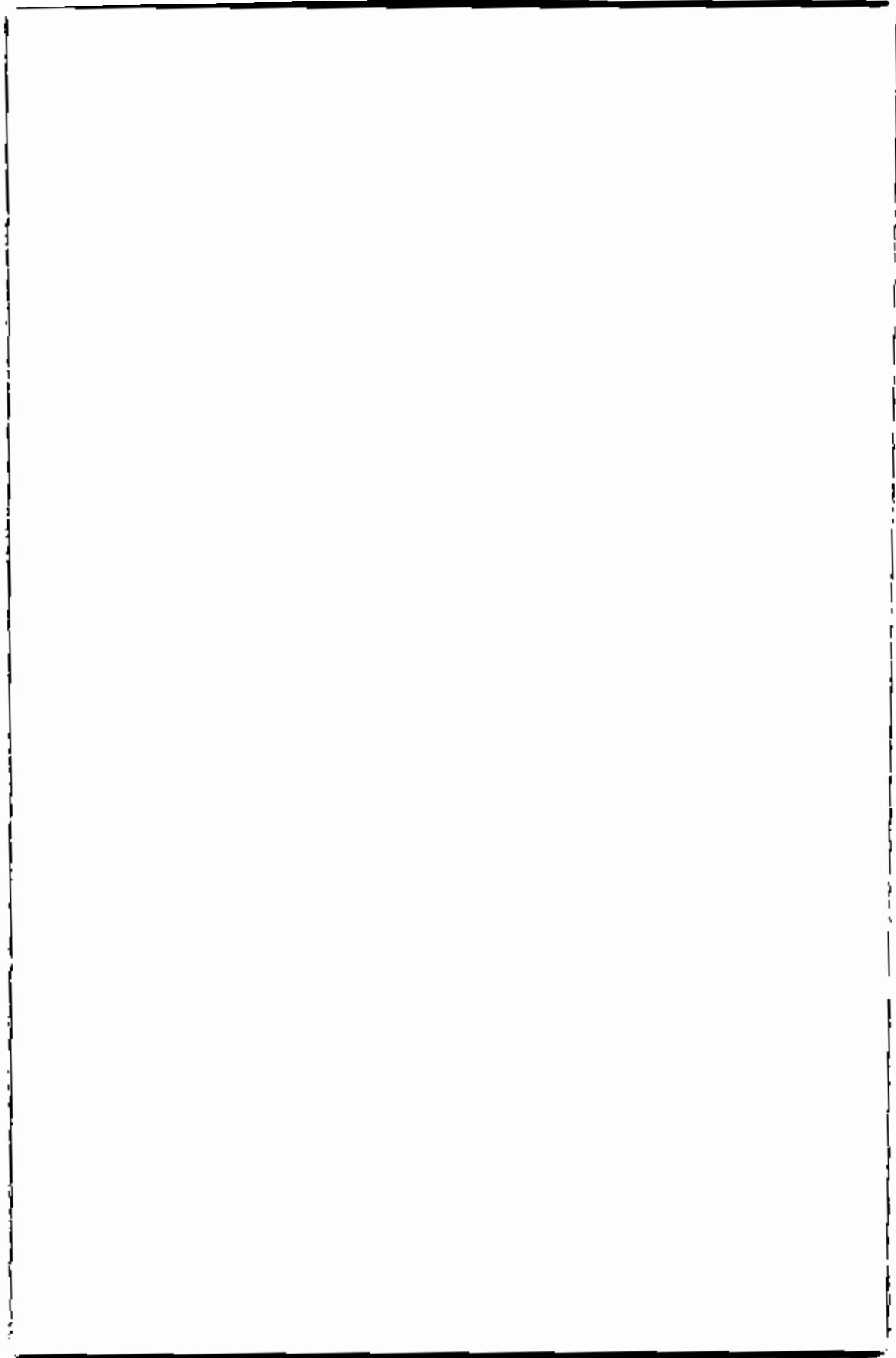
(١) *Heidegger M.Poetry, Language, Thought* , trans. and Introduction by Hofstadter A., P.IX, X, XII, XIII .



المفهوم الفلسفي لمحاضرة "اللغة"

في

مؤلفات هايدجر المتطورة



(أولاً) الإنسان بوصفه إنساناً موجود يتحدث :

يقول هايدجر :

"الإنسان يتحدث ، ونحن نتحدث في حال اليقظة والحلم، نحن نتحدث دوماً حتى عندما لا نفوه بكلمة واحدة بصوت عال ، وإنما فنصت أو نقرأ ، وحتى عندما لانصت أو نقرأ فنحن نقوم بعمل ما أو نركن إلى الراحة .. نحن نتحدث باستمرار بطريقة أو بأخرى ، ونحن نتحدث لأن الحديث أمر طبيعي بالنسبة للإنسان ، فالإنسان يتحدث ولتأ لطبيعته ، والإنسان تمييزاً له عن النبات والحيوان هو الكائن الحي القادر على الحديث"^(١) .

ويعنى ذلك - كما يرى هايدجر - أن الحديث وحده هو الذى يمكن الإنسان من أن يكون كائناً حياً بوصفه إنساناً ؛ فاللغة تدخل في علاقة قرب وثيقة مع وجود الإنسان ، ونحن نلتقى باللغة أينما ذهبنا ، فبى من ثم لاتفاجئنا؛ بل إنه ما أن يدرك الإنسان ذاته وما يوجد حوله من موجودات حتى يدرك وجود اللغة في الوجود نفسه^(٢) .

وضع هايدجر محاضرات ثلاث عن "ماهية اللغة" Das Wesen der Sprache، يقول في "القدمة" : إن هدفه هو "الدخول في تجربة مع اللغة" ولا يعنى ذلك أن نقوم بتجارب على اللغة أو نجتمع معلومات عنها كما يفعل علماء اللغة

(1) Heidegger, M., : "Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache" Vittorio Klosterman Frankfurt am Main, Gesamtausgabe, Band 12, Germany, 1985, S.9.

(2) Ibid, S.9.

وما بعد اللغة^(١)، بل معناه أن ننتبه إلى "علاقتنا باللغة"، ونأمل في سكننا في اللغة،
ونستوضح طبيعة شيء يتعلق بصميم وجودنا^(٢).

في المحاضرة الأولى، حاول هايدجر أن يلفت انتباهنا إلى التجربة الشعرية
في اللغة مبيهاً الصلة بين التفكير والشعر. وفي المحاضرة الثانية ألقى مزيداً من الضوء
على طبيعة هذه الصلة و منهج التمييز بينهما. أما المحاضرة الثالثة -وهي موضوع
بحثنا- فهي محاولة للدخول في تجربة مع اللغة^(٣).

يقول هايدجر: "سوف نفكر في اللغة ذاتها وحسب، فاللغة ذاتها هي اللغة

ولاشئ غير ذلك.."^(٤)

(*) سؤال هايدجر عن ماهية اللغة لا ينتهيح مسالك الميتافيزيقا الحديثة التي تنقيد بها
بحرث "ما بعد اللغة"، وهي بحرث السيطرة التقنية التي تهدف إلى تشيقل أداة
التوصيل والإعلاء بين الكواكب المختلفة، أما ما بعد لغة فهي لغة بعدية
تنصب على دراسة لغة أخرى (الحساب المنطقي) وتضم نظريات بعدية عن
الخصائص البنائية والدلالية والصورية للغة التي تدرسها، ولهذه النظريات أهمية
كبيرة في تطور السببرنطيقا والعقول الحاسبة.

(الفرن: عهد الفغار مكاوي: نداء الحقيقة، ص: ٢٠٦).

(١) عهد الفغار مكاوي: نداء الحقيقة - ترجمة ودراسة وتقديم، سلسلة النصوص
الفلسفية (٩)، دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة، ١٩٧٧، ص: ٢٠٦.

(2) Kockelmans, J.J., "On The Truth of Being", P.158-159.

(3) Heidegger, M.: ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache),
S.10.

إذن علينا أن نحيا تجربة اللغة بحيث تعبر عن نفسها بنفسها ؛ فاللغة تتميز بأننا نعيش فيها، ونأقنها دون أن نتبه إلى ذلك أو نحاول لتركيز أبعصارنا عليها، فكيف نخرج من هذه الحال ونفكر في ماهيتها أو أصلها؟^(١)

ذلك السؤال هو ما يحاول هايدجر الإجابة عليه في هذه المحاضرة .

Die Sprache Spricht- Language Speaks : (ثانياً): اللغة تتحدث :

يقول هايدجر في محاضراته "اللغة" :

".. كيف تحدث اللغة بوصفها كذلك ؟ والإجابة هي أن اللغة تتحدث". ولكن هل يُعتبر ذلك إجابة ؟ يمكن أن يكون الأمر كذلك إذا عرفنا ما هو الحديث: ... إن تأمل اللغة يتطلب الدخول في حديث اللغة كي نمكث مع حديثها وليس مع حديثنا ... ونحن لا نريد أن نؤسس اللغة بناء على شيء آخر يختلف عن اللغة ذاتها ، كما لا تهدف إلى تفسير الأشياء الأخرى عن طريق اللغة .. "اللغة هي اللغة"^(٢) ، وهذه العبارة لا تؤدي إلى شيء آخر تقوم عليه اللغة ... اللغة تتحدث .. ونحن إذا سلمنا بهذا المعنى نشعر بالإنف والسكن والعمور على المستقر^(٣) .. اللغة تتحدث ، ماذا عن حديثها ؟ وأين نلتقي بهذا الحديث .. حديث اللغة يبين كيف يمكن الحفاظ على اللغة ، وتحقيق العمور لها^(٤).

(١) عبد الغفلر مكارى : تداء الحقيقة ، ص : ٢٠٦ .

(٢) "Die Sprache ist Sprache- Language is Language".

(٣) Heidegger ,M. : ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache), S.10-11.

(٤) Ibid, S.13- 14.

يتبين لنا من النص السابق أن اللغة تتحدث بمقدار ما تشير وتوضح . وبمقدار ما تتغفل في كل مجالات الحضور ، وبمقدار ما تترك ما هو حاضر ليكشف عن نفسه أو يحتجب . وترتب على ذلك أنه علينا أن ننصت إلى اللغة، وأن نترك ما نقوله يتحدث بنفسه إلينا ، وهذه الإرادة في أن نترك اللغة تتحدث بنفسها إلينا تبقى كل أنواع الاستماع أو الإنصات . كما أن حديثنا يأتي بعد الإنصات إلى اللغة ؛ فالصوت غير المسموع للغة هو الذي يثير فينا إرادة الحديث^(١) .

إذن علينا أن نسمح للغة بأن تتحدث بنفسها إلينا ، ويفترض ذلك مسبقاً أن أسلوب وجودنا منفتح أصلاً على ما نقوله . نحن ننصت إلى "حديث" اللغة فقط إلى الحد الذي نكون فيه في المجال الذي تفتح فيه إلينا في "حديثها" ؛ فاللغة تمكن الإنسان من الإنصات إليها ، ومن ثم تتيح له إمكانية الحديث^(٢) .

ذهب هايدجر إلى أن الرأي السائد في تفسير معنى الحديث هو أنه التعبير الذي يمكن الاستماع إليه ، ومن ثم يصبح وسيلة للإتصال بمشاعر الإنسان وأفكاره ؛ إلا أن هذا الوصف للغة يثير أموراً ثلاثة يتم التلخيص بها بلا مناقشة :
أولاً : القول بأن الحديث هو التعبير ، وهو أكثر الآراء شيوعاً ، ويفترض مسبقاً وجود فكرة عن شيء داخلي يعبر عن نفسه تعبيراً خارجياً . إلا أن هذا التصور عند هايدجر يحيل اللغة إلى تصور خارجي وسطحي .

(1) Kockelmans J.J : "On the Truth ..", P.153.

(2) Ibid .

ثانياً : القول بأن اللغة نشاط للإنسان ، فلإنسان يتحدث دوماً لغة ما ، ولا يمكن القول في إطار هذا الرأي بأن "اللغة تتحدث" ، وإنما "اللغة هي التي تحقق للإنسان الوجود" ؛ فالإنسان يتحدث عن طريق اللغة .

ثالثاً : القول بأن التعبير الإنساني إنما هو عرض أو تفسير لما هو موجود في الواقع .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن هايدجر يرى أن الآراء السابقة لا تكفي لمعرفة ماهية اللغة ؛ فهناك من جهة من يؤكدون أن مصدر اللغة إلهي وليس إنسانياً خالصاً ، وهناك من جهة أخرى من يعرفون اللغة بأنها كلام مسموع يعبر عن الانفعالات الداخلية .. إلخ ، إلا أن هذه التفسيرات لاجدوى من ورائها في وصف ماهية اللغة ؛ فهي وإن كانت يقبلها العقل ، فإنها لا تجعلنا قط نفهم اللغة بما هي كذلك^(١) .

يعنى ما سبق أنه على الرغم من أنه يمكن القول بأن اللغة لا تتحدث ما لم يجعلها الإنسان أولاً تصدر صوتها عن طريق أعضاء الكلام ، فإنه من الصواب أيضاً أن نقول -ولقاً لما يراه هايدجر- إن اللغة نفسها تتحدث ؛ وهي تتحدث بمقدار ما تفصح لنا عن شيء ما ، أو تكشف النقاب عنه^(٢) ، والإنسان في حديثه^(٣) إنما "ينصت" إلى ما ينصت إلى أن تقوله اللغة .

(1) Heidegger, M. : ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache)
S.11-13.

(2) Kockelmans. J.J. : "On the Truth..." , P.153.

(*) يلاحظ هنا التمييز الدال بين الحديث Speaking والقول saying ؛ فمن الممكن للإنسان أن يتحدث كثيراً بينما لا يقول شيئاً ، ومن الممكن أن يقول كثيراً من خلال الصمت !

(Cp. Kockelmans J.J. : "On the Truth.." , P.152.

يرى هايدجر أن "الإنسان لا يكون كذلك إلا بقدر ما ينصت إلى نداء اللغة،
ويقدر ما يُستخدم للغة وللحديث بها"، وهذه العبارة تقلب علاقة الإنسان باللغة رأساً
على عقب: فإذا كانت اللغة سكن الإنسان الذي يحيا فيه دون أن ينسب إليه أو يتفكر
في أمره، فهو أبعد الأشياء عنه وأقربه إليه في الوقت نفسه! والإنسان هنا يتوارى
قليلاً كي تحتل اللغة المقدمة.. فاللغة هي التي تستخدم الإنسان، وعليه أن ينصت
إليها^(١)؛ والإنسان من حيث طبيعته "ملقى" به في اللغة^(٢)؛ أي أنه في حدوث اللغة،
يصح للوجود مكان الصدارة لا بمعنى إيجابي فقط، وإنما بمعنى سلبي^(٣) متضمن
في واقعة الارتقاء في العالم الخاصة بالموجود الإنساني.

إذن الإنسان عند هايدجر يحاول أن يعد نفسه للدخول في تجربة مع اللغة،
و"التفكير" يعني عنده أولاً ولبل كل شيء "الإنصات": فاللغة هي التي تنبج بداتها
إلينا، وتحدث إلينا عن ماهيتها الخاصة^(٤).

وجدير بالذكر أن الدخول في تجربة مع اللغة لا يعني أن هذه التجربة من صنع
الإنسان، فالإنسان يخضع لها، ويتقبلها عندما تفاجئه، ويتحملها عند حدوثها، فإذا ما
عثر الإنسان على الطريق الصحيح لوجوده في اللغة، فإنه تكون لديه تجربة أصلية
مع اللغة تسمى صميم وجوده، ويتحقق له التحول الذي ينشده^(٥).

(١) عبد الفطار مكارى: نداء الحقيقة، ص ٢١٤.

(٢) "By nature man is thrown into Language".

(٣) Kockelmans, J.J. : "On the Truth ..", P.149.

(٤) Ibid., P.163.

(٥) Ibid., P. 159 .

(ثالثاً) ماهية اللغة هي لغة الماهية :

يمكن القول في ضوء ما سبق أن "اللغة" أو الكلمة هي التي تساعد الشيء على الوجود أو تحفظه ، أو أنها هي التي تجعله شيئاً . والعلاقة بين الشيء والكلمة أقرب إلى "التحكين" ؛ فالكلمة هي التي "تمكن" الموجود من الوجود ، وتكمله له .

والكلمة "لا تكون" بالمعنى الذي "تكون" به الأشياء والموجودات؛ بل إن وجودها متعيز عن سائر الأشياء ؛ فلا نقول إنها تكون ، وإنما إنها "تغطى" Es gibt ، وهي تعطى الوجود بمعنى "الإفارة" التي تتجلى فيها الموجودات وتظهر دون حاجة منها إلى خلقها وإيجادها^(١).

إذن اللغة عند هايدجر هي "لغة الوجود" ، ولا بد أن نتحدث إليها ، وأن تجرب لنا عن ماهيتها "لماهية اللغة هي لغة الماهية" ، ولن ينسى لنا تجربة اللغة حتى يحدث هذا ، وخير ما يمهد لهذا الحدث أن نحس بالقرب بين الشعر والفكر، ونتمكن من السكن في هذا القرب كما سيأتي بيانه تفصيلاً .

"إن ماهية اللغة هي لغة الماهية" : الماهية في الشطر الأول من العبارة تختلف عن الماهية في الشطر الثاني ؛ في الأول تأتي إجابة على السؤال عما هي اللغة ، وهي هنا الموضوع الذي نبحث عن ماهيته عن طريق تصورنا عنه بحيث يمكننا الإجابة عن السؤال "ما هو؟" ؛ أي أن هذا الشطر يعبر عن مجال التصور الميتافيزيقي التقليدي ؛ أما الماهية في الشطر الثاني من العبارة فهي التي تنقلنا من ميدان التصور الميتافيزيقي إلى مجال الفكر غير الميتافيزيقي ؛ فهي ليست الآن إجابة على السؤال عما هو الموضوع ؛ فلنا بصدد موضوع أو شيء موضوعي ؛ وإنما تفيد الحفاظ

(١) عبد الغفلر مكارى : تداء الحقيقة ، ص ٢١٦-٢١٣ .

والعطاء ، فاللغة تتصل بصميم وجودنا ، وتحركه وتنتمي إلى الماهية التي تحرك وتمنح^(١) .

إن اللغة عند هايدجر توجه إلينا النداء ، ونحن ننصت إليها باستمرار ، ولكننا لانفكر في ذلك ، وإذا لم ننصت إليها في كل مكان ، لن يكون بوسعنا أن نتحدث ولو كلمة واحدة ، بحيث يمكن القول بأن "ماهية اللغة هي لغة الوجود"^(٢)؛ فالوجود ملك للغة ، ولم يعد معنى الماهية ، وإنما الحضور ، والحفاظ ، وهو بهذا المعنى يُسمى ما يشغلنا وما يشير انتباهنا من الأشياء ، لأنه يصنع طريقه إلى كل الأشياء ، وهو يصنع ذلك الطريق لأنه "يتحدث"^(٣) .

يتضح مما سبق أن ماهية اللغة ترتبط بالقول الأصلي^(٤) (Ursage- Primordial Saying) بوصفه إيضاحاً وكشفاً ، والإنسان بوسعه أن يصل إلى الحقيقة فقط عندما يتجه في إنصاته وحديثه نحو قول الوجود The Saying of Being^(٥) .
والتقول يعني "التجلى" و"الظهور" و"الهيئة" ، و"التحرير" ، وما يُمنح هنا هو العالم الذي يوضحه القول بالكشف عنه ، ومنح العالم الذي يتم بالإشارة والاحتجاب

(١) نفس المرجع ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(2) Kockelmans, J.J. : "On The Truth...", P. 163- P. 166.

(*) يلاحظ أن العلاقة بين الوجود والقول الأصلي سيطرت على تاريخ الفلسفة منذ ظهورها ؛ وتجلى ذلك في كلمة لوجوس^(٦) ، وهذه الكلمة تعبر أيضاً عن العلاقة بين الشئ والكلمة .

(3) Ibid., P. 149- 152.

هو ماهية القول في اللغة^(١)، فضلاً عن أن قول اللغة يحزر العالم بحيث يكون متناهيًا وزمانيًا^(٢).

إن وظيفة اللغة عند هايدجر هي "ترك الوجود ليكون ذاته"^(٣)، ولأن الموجودات الأخرى بخلاف الإنسان لا يتولر لديها هذا المدخل الخاص إلى اللغة، فإنها لا تستطيع أن تتحدث؛ ذلك أن المعنى الأساسي للتفكير هو ترك الموجود لكي يوجد، ولكن يعبر عن الحقيقة في صورة كلمات^(٤).

أشار هايدجر إلى علاقة القرب بين الشعر والتفكير فضلاً عن كونهما نوعين من القول، كما أشار إلى أن إدراك هذه العلاقة قد يتيح لنا الدخول في تجربة مع اللغة^(٥)، وهو الهدف الذي أكد على أهميته في مستهل محاضراته عن "اللغة" كما سيأتي بيانه فيما يلي.

(1) Ibid., P. 165.

(2) Ibid., P. 153.

(٣) "To let Being be itself"

(3) Richardson W.J., "Heidegger, Through Phenomenology..", P.540- 541.

(4) Kockelmans J.J.: "On the Truth ..", P.166.

رابعاً) علاقة القرب بين الشعر^(١) والتفكير :

يقول هايدجر : "موضوع الحديث الخالص هو الشعر^(٢) وعلينا أن نعتبر هذه العبارة فرضاً أساسياً"^(٣) يبدو من النص السابق أن التفكير في ماهية اللغة أنجا هايدجر إلى التماس العمق من الشعراء ربما لأن علاقتهم باللغة متميزة، ولأنهم أقدر من غيرهم على التعبير عنها ، ولأن الشاعر هو حارس الكلمة ومدبرها^(٤). يرى هايدجر أنه حتى عندما نبدأ في التفكير ، وننصت إلى الشعراء^(٥) - وكلاهما يدوران في فلك اللغة - وعندما نمكث بالقرب من الشعر والتفكير، فإننا لانعرف حقيقة ماهية ذلك القرب ؛ وإنما تكون على الطريق إليه وحسب^(٦).

(**) Dichtung- Poetizing لاتعنى بالألمانية مجرد نظم الشعر ، وكلها تعنى النشاط الذي يخلق وبشكل ، ويتحدى على صورة كشف أنطولوجي (قارن : مارتين هايدجر : ما أفلسفة؟ ما الميتافيزيقا - هيلنرلين وماهية الشعر ترجمة فزاد كامل ، محمود رجب ، مراجعة عبد الرحمن بدوي ، سلسلة نصوص فلسفية ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص : ١٢٩) .

(*) Rein Gesprochenes ist das Gedicht - What is Spoken Purely is the Poem.

(1) Heidegger, M : ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache) , S.14.

(٢) عبد الفقار مكارى : تداء الحقيقة ، ص : ٢٠٧ - ٢١٠ .

(**) تحول هايدجر في منتصف الثلاثينيات نحو الفن تحولاً واضحاً في محاضراته عن "الأصل في العمل الفني" ، ومحاضراته عن "هيلنرلين وماهية الشعر" ، والفن كل فن عند هايدجر هو من حيث الماهية شعر .

(Vgl. : Winfried, F. : "M. Heidegger", I.B. Metzlersche Verlagsbuch- handlung, Stuttgart, 1970, Germany, S.71) .

(٣) Kockelmans, J.J. : "On The Truth ..", P. 169.

وما يتعلمه الشاعر من تجربته مع اللغة هو أن الكلمة تؤسس الشيء بوصفه كذلك، وتجعله حاضراً، وإذا كانت التجربة الحقيقية مع اللغة تجربة تفكير عند هايدجر، فلا ينبغي أن نفل أن طريق التفكير يرتبط بعلاقة الرب وثيقة مع طريق الشعر الحقيقي؛ فكلاهما في حاجة للآخر كي يتأسس الوجود، وكلاهما طريقة في القول Sagen- saying، وتدل هذه العلاقة على معنى الإلف والسكن في هذا القرب^(١).

وإذا كانت "اللغة بيت الوجود" فإن اللغة هي التي تكشف عن الوجود ذاته، وبمقدار ما يتم التعبير عن الوجود عن طريق اللغة، تصبح هذه اللغة لغة الوجود مثلما تكون السحب سحب السماء، فضلاً عن أن الوجود في حاجة إلى الوجود هناك أو الوجود الإنساني كي يوجد، وبالتالي فإن التفكير في الوجود لا يتم إلا عن طريق اللغة التي يتمتع بها الإنسان راعي الوجود^(٢).

ولكن ما طبيعة الصلة بين التفكير والشعر عند هايدجر؟ يرى هايدجر أن "المفكر يتحدث عن الوجود أما الشاعر فهو يسمي المقدس"^(٣)؛ أي أن الشعراء هم الذين يسمون الآلهة، ويسمون الأشياء والموجودات، وبهذه التسمية أعانوا الإنسان

(1) Ibid., P. 161- 165 .

(2) Richardson W, J. : Heidegger, Through Phenomenology to Thought", P. 535, 540 .

(٣) The thinker utters Being, the Poet names the Holy- Der Denker sagt das Sein, Der Dichter nennt das Heilige" (WIMI) S.51.

على أن يتحقق في التاريخ ، وفي العالم ، ويتصل بالأشياء من حوله^(١) ، فالشعر تأسيس للوجود عن طريق الكلام^(٢) .

وإذا كانت ماهية الشعر تكمن أساساً في علاقته الخاصة بالوجود والحقيقة ، فذلك لأن الشعر انفتاح للموجود ، وهذا الانفتاح يحمل معان ثلاث: البدء Anfangen والتأسيس Gründen ، والهبّة^(٣) Schenken ؛ فالأشياء يتحقق لها الحضور عندما يسميها الشاعر ، وهي غير موجودة مادامت عالم تُسمى بعد^(٤) .

(خامساً) التفسير الأنطولوجي لقصيدة تراكل :

يقول هايدجر : في محاضرة "اللغة" : " .. ولكن ماهي تلك القصيدة التي تعنينا أكثر من غيرها .. كي ننتص إلى موضوع الحديث ؟ إنها قصيدة بعنوان " أممية شتوية Ein Winterabend – A winter Evening لجنورج تراكل^(٥) .

(١) مارتن هايدجر : في الفلسفة والشعر ، ترجمة وتلخيص عثمان أمين ، مكتبة نفايس الفلسفة الغربية ، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص : ٢٤ ..
(٢) نفس المرجع ، ص : ٩٢ .

(**) يقال في الألمانية It gives the word-Es gibt das wort ومعناها كما يرى هايدجر أن الكلمة تمنح ذاتها ، ومعنى في ذلك تمنح الوجود أيضاً .

(Cp. Kockelmans J.J : "On The Truth ..", P.165.

(3) Winfried . "M, Heidegger", S.72.

(4) Kockelmans, J.J. : "On The Truth..", P.161.

(5) Heidegger, M.: "Die Sprache..", S.14.

تقول القصيدة^(٢):

حينما يتساقط الثلج فوق النافذة
وتدق أجراس المساء دالاتها المتواصلة
تكون المائدة قد أعدت لعدد من الناس كبير
والبيت في أحسن أحواله .
وبعض المتجولين
يقفون عند البوابة في الدروب المظلمة
وتثمر شجرة النعم ثمارها الذهبية

(٢) EIN WINTERABEND

Wenn der Schnee ans Fenster
fällt,
Lang die Abendglocke läutet,
Vielen ist der Tisch bereitet
Und das Haus ist wohlbestellt.
Mancher auf der
Wanderschaft
Kommt ans Tor auf dunklen
Pfadern.
Golden blüht der Baum der
Gnaden.
Aus der Erde Kühlem Saft
Wanderrer tritt still herein;
Schmerz versteinerte die
Schwelle.
Da erglänzt in reiner Helle
Auf dem Tische Brot und
Wein.

A WINTER EVENING

Window with falling snow is
arrayed,
Long tolls the vesper bell,
The house is provided well,
The table is for many laid.
Wandering ones, more than a
few,
Come to the door on darksome
courses.
Golden blooms the tree of graces
Drawing up the earth's cool dew.
Wanderer quietly steps within;
Pain has turned the threshold to
stone.
There lie, in limpid brightness
shown,
Upon the table bread and wine.

(Cp. Halliburton, D. "Poetic Thinking - An Approach to Heidegger" The Uni. of Chicago Press Ltd, London, 1981, P.185- 186.

II من العصاره الرطبه للأرض !

* * *

ويدلف المتجول إلى الداخل

والألم قد أحال البوابة إلى حجر

III وهناك يسلح فوق المائدة

الخبز والخبز ناصعاً نقياً^(٤).

أ- البنية الفنية للقصيده :

قام هايدجر بتحليل القصيدة في محاضراته عن "اللغة" فذهب إلى أنها تتكون عن مقاطع ثلاثية ، "الوزن والإيقاع" فيها يمكن تعريفهما بدقة وفقاً للقواعد الخاصة بالشعر ، أما مضمون القصيدة فيمكن فهمه ؛ إذ لا توجد كلمة واحدة غير مألوفة أو تسم بالغموض ، إلا أن البيتين الثالث والرابع في المقطع الثاني يتسمان ببعض الغرابة .

و"الخيال" في القصيدة يبرز جمالها الاستطقي من ناحية البنية الفنية . والقصيدة عموماً و"صف لأمية شتوية" : المقطع الأول منها يصف ما يحدث في الخارج من لاقط الثلوج ورلين أجراس الماء ، والأشياء في الخارج تسمى الأشياء الموجودة داخل البيت في الصميم ؛ فالثلوج تتساقط فوق زجاج النافذة ، ورلين أجراس الماء تدلف إلى كل بيت ، بينما قد تم إعداد كل شيء ، بما في

(٤) هذه الترجمة للقصيدة محاولة متواضعة من كاتبة المطور لنقلها إلى اللغة العربية.

ذلك المنضدة الخاصة بتناول المأكول والمشرب على خير مايرام^(١).

أما المقطع الثاني من القصيدة ليعبر تناقضاً؛ فبينما يجلس عدد كبير من الناس إلى العائدة بالداخل، فإن بعض المتجولين يترددون في الدروب المظلمة حيث ذهاباً ولايبت ينزلون فيه. وهذه الدروب تنتهي إلى بوابة.

وفي المقطع الثالث يدعى المتجول الوحيد إلى الدخول من الظلام الحالك في الخارج إلى الضوء المشع داخل البيت.

- من ذلك العرض السريع لمضمون القصيدة، يتضح كيف تم استخدام - اللغة - للتعبير عن مشاعر البشر، وموقفهم من العالم الذي يواجههم؛ ومع ذلك فإن هايدجر يرى في عبارة هامل^(٢) له أن اللغة ليست تعبيراً ولانشاطاً صادراً عن الإنسان، وإنما "اللغة تتحدث"^(٣).

كما يبين أننا الآن نبحث عن "حديث اللغة في القصيد"؛ فإذا كان "عنوان القصيدة" هو أمسية شتوية، فإن ذلك العنوان قد يجعلنا نتوقع أن القصيدة وصف لأمسية شتوية كما تحدث في الواقع؛ ولكن القصيدة لا تصور تلك الأمسية وفقاً لزمان أو مكان محددين، كما لا يمكننا الزعم بأن هذه الأمسية قد حدثت بالفعل في ذلك الزمان أو المكان، فالقصيدة زاخرة بالخيال حتى عندما تصف لنا أمراً يمكن حدوثه في الواقع. والخيال الشعري في هذه القصيدة "يتحدث"، وموضوع الحديث هو ما

(1) Ibid., S. 15-16.

(2) "Die Sprache ist in ihrem Wesen Weder Ausdruck noch eine Betätigung des Menschen, die Sprache Spricht", (Cp. Heidegger, M., "die Sprache", S.16.

يدور في خلد الشاعر ، وما يعلن عن مضمونه : "الفة القصيدة" يمكن تفسيرها على أنحاء شتى ، والفة تبرهن على أنها تعبير ؛ ومع ذلك فهذه النتيجة تتعارض مع التقنية القائلة بأن "اللة تتحدث" بافتراض أن الحديث في ماهيته الأناسية ليس تعبيراً ، أو بعبارة أدق ، فإن القول بأن اللة تعبير لا يفر لنا¹ ماهية اللة .. فالعبارة الدالة القائلة بأن " اللة تتحدث " تعنى أن اللة - وليس الإنسان - هي التي تتحدث ، ولا ينكر بذلك هايدجر أن "الظواهر اللغوية " تدرج تحت عنوان رئيسي هو التعبير Ausdruck - expression ، ولكن الأمر يؤدي إلى تساؤل هام : كيف يتحدث الإنسان ؟ وما هو الحديث ؟²

يتضح مما سبق أن هايدجر قد استخدم قصيدة "تراكل" في محاضرة اللة لتوضيح كيف ترك اللة العالم ليكون موجوداً ؛ فيرى هايدجر أن المقطع الأول من القصيدة يدعو "الأشياء" إلى الحضور ، والمقطع الثاني يدعو "العالم" إلى الحضور ، أما المقطع الثالث فيتناول "الفرق" بين العالم والأشياء ، وهذا الفرق يحدث عن طريق قول اللة بصفة خاصة³ . أو عن طريق الوجود بوصفه قولاً -Sagen Utterance .

إذن ماهية اللة عند هايدجر لاتفصل عن ماهية الوجود ، والشعر تأسس للوجود ، علماً بأن كل عمل فني تأسس للحقيقة ، وهو من ثم في ماهيته شعر⁴ ، كما

(1) Ibid., S.17.

(2) Ibid., S.18 .

(3) Kockelmans, J.J. : "On The Truth...", P. 153-154.

(4) Richardson W.J. : "Through Phenomenology..", P.498.

أن الفكر والشعر يبعثان من اللوجوس ذاته، والفكر مستعداً من الشعر الأصلي له سمة شعرية خاصة به ، ولا يمكننا فهمها حتى ندرك العاهية الأصلية للغة أو اللوجوس^(١) . يرى هايدجر أن اللغة تحدث بوصفها الفرق بين العالم (الوجود) والأشياء (الموجودات)^(٢) ، وهو ما يُسمى عنده بالفرق الأنطولوجي *Ontologische Differenz* ، ولكي يحدث اللوجوس بوصفه فرقاً أنطولوجياً تظهر الحاجة إلى الإنسان أو الموجود الإنساني الذي يفتح وجوده على اللوجوس بوصفه فرقاً^(٣) ، والتجود ندرته بوصفه لوجوس بمقدار ما ندرك اللوجوس بوصفه اختلافاً ، وحدوث هذا الاختلاف هو الذي يظهر الفرق الأنطولوجي . ومهمة الإنسان تنحصر في الإستجابة إلى النداء الموجه إليه والمعبر عن حاجة اللوجوس إلى "الهنالك" أو "العالم" كي يحدث هذا الفرق ، فضلاً عن أن الاستجابة لهذا النداء هي بمثابة حدوث للغة الإنسانية في صورتها الحقيقية^(٤) .

(١) Ibid, P. 558.

(٢) "Die Sprache west als der sich ereignend Unter- Schied für Welt und Dinge"

(2) Ibid., P. 580 .

(٥) في تأملات هايدجر المتطورة حول اللغة ذهب إلى أنه في الفرق الأنطولوجي يكون الوجود لهمأ أصلياً للحقيقة ، والحقيقة معنا تضي الافتتاح أو الكشف ؛ كما يصبح العالم مشيراً إلى المعنى أو الدلالة الكلية للموجودات ، والموجودات إما أن تكون موجودات متعينة أو موجودات في كليتها ، والعالم والموجودات يختلفان اختلاف العالم والأشياء في الفرق الأنطولوجي .

(Cp. Kockelmans. J.J. : "On The Truth..", P. 157- 158 .

(3) Ibid., P. 581.

ومن ناحية أخرى يرى هايدجر أن "اللوجوس" يعبر سلباً عن مجال "مالايقال" الكامن وراء كل قول أصلي؛ وأن هذا المجال ليس عدماً أو لا شيئ؛ بل هو الثروة الكامنة لما يقال؛ إنه صوت بلا ضجيج، لكل تسمية أصلية وحقيقية تعبر عن شيء لا يقال.

إذن للوجود الأولوية في حدوث اللغة، ليس فقط في إيجابيتها، وإنما في سلبيتها أي في مجالها غير المقول. والإنسان وفقاً لطبيعته "ملقى به" في اللغة، وهو من ثم لعبة الوجود السلبي بوصفه كلاماً غير مقول، ويتم ذلك عندما يتغلغل الإنسان في مجال غير المقول the un - said بالتغلغل وراء المعاني الماكولة اليومية. وذلك فيما يسمى عند هايدجر "بالقرار"^(١) decision - أو "التصميم" Entschlossenheit - Resoluteness.

(ب) التسمية في لصيدة تراكل Das Nennen- The Naming

يتساءل هايدجر في محاضرة "اللغة" عن طبيعة "التسمية" في قصيدة تراكل، وطبيعة الدور الذي تؤديه في القصيدة، كما يتساءل عما إذا كانت هذه التسمية تكشف الأشياء والأحداث الماكولة مثل الثلوج - الأجراس - النافذة، تالط الثلوج، رنين الأجراس وذلك من خلال اللغة.

يرى هايدجر أن هذه التسمية هي بمثابة نداء للكلمة، "فالتسمية نداء"^(٢)، والنداء يقرب المناذى، ويحقق الحضور للموجودات حتى تصبح أكثر قرباً^(٣)؛ ففي التسمية تُنادى الأشياء التي نسميها إلى شينيتها، ويتم الكشف عن العالم^(٤).

(١) Ibid., P. 609- 610 .

(٢) Das Nennen ruft - The naming calls .

ولكن النداء Das Herrufen - The Calling يوجه نداءه إلى المنادى حيث يكون ذلك المنادى غائباً ، وهو في ذلك ينادى للقرب ، وعن ناحية أخرى فإن النداء ينادى ذاته ؛ فيبقى دائماً "هنا" و "هناك" . "هنا" في الحضور Anwesen - Presence و "هناك" في الغياب Abwesen - Absence .

يرى هايدجر أن تباطؤ التلوج ، ورنين الأجراس في القصيدَة يتحقق لهما الحضور في النداء . فإذا كان الأمر كذلك ، فما الذي ينادى عليه في المقطع الأول من القصيدَة ؟ أو ما موضوع النداء ؟

إن المقطع الأول ينادى الأشياء ، ويدعوها إلى الحضور ، وهو لا يدعوها إلى الحضور لتكون بين الأشياء الحاضرة ؛ فهو لا يدعو المنضدة المذكورة في القصيدَة للحضور بين صفوف المقاعد ؛ فالنداء يدعو الأشياء للحضور بعد أن كانت محتجبة في الغياب .

ومن ناحية ثالثة ، يرى هايدجر أن "التسمية دعوة"^(١) ؛ إنها "تدعو" الأشياء للحضور في عالم الإنسان ؛ لتباطؤ التلوج يجعل البشر يستظلون بالسماء التي تميل إلى الغمام ليلاً ، ودقات أجراس السماء تجعلهم "كفنائين" die mortals - Sterblichen^(٢) في مواجهة الخالدين (أورسل الربوبية) the divine- das Göttliche

(1) Heidegger, M. : "Die Sprache.", S.18.

(2) Ibid., S. 19.

(٣) Das Heissen ist Einladen- Bildung is inviting .

(3) Ibid., S. 18-19.

وفى البيتين التاليين :

البيت فى أحسن أحواله

والمنضدة قد أعدت لعدد من الناس كبير .

يبدو الحديث كما لو كان عن شئ حاضر ويؤكد ذلك فعل الكينونة المفهوم ضمناً فيهما ؛ ومع ذلك فالبيتان يتحدثان بطريقة النداء، ويحققان الحضور للبيت والمنضدة التى أحسن إعدادهما ؛ إلا أن ذلك الحضور يتجه نحو شئ مما لم يزل غائباً .

إذن المقطع الأول من القصيدة ينادى الأشياء إلى شئيتها ويدعوها إلى الحضور ؛ فالنداء الموجه إلى الأشياء يدعوها إلى الحضور فى العالم والظهور فيه ، مما يعنى أن المقطع الأول من القصيدة لا يسمى "الأشياء" فقط ، وإنما يسمى "العالم" فى الوقت نفسه ، إنه ينادى "الكثرة" التى تعبر عن "الغانين" فى رباع العالم كما سيأتى بيانه فيما يلى^(١) .

(ج) رباع العالم الفريد فى قصيدة تراكل *des Geviert- the fourfold*

يمكن القول بأن أعمال هايدجر المتطورة وبخاصة محاضراته عن "الشئ" تسمية "الرباع" أى إتجاهات العالم الأربعة من أرض وسماء ، ولغابن ، وخالدين فى علاقتهم ببعضهم البعض . وفى محاضرة "اللغة" -موضوع هذا البحث- أوضح هايدجر كيف أن اللغة هى التى تحمل تفاعل هذا الرباع أو هدم الوجوهات الأربع ،

(1) Ibid., S. 19-20 .

أو هذا العالم^(١)، وفي هذا التفاعل يُحدث القرب، و"القرب والقول" عند هايدجر أسلوبان لإظهار اللغة وأحزابها للوجودات من التحجب إلى النور والانكشاف^(٢).
واللغة بدورها تدعو الأشياء للحضور، والأشياء التي تدعوها اللغة وتسميها تجتمع فيما يسميه هايدجر "بالرباع": السماء - الأرض - الفنانون - الخالدون، وماذا، زمن بعيد يتحد هذا الرباع بشكل فريد يجعل من الأشياء التي تسميها اللغة رباعاً يقيم في حياة الإنسان^(٣).

إذن "الكلمات" أو "اللغة" هي "الجهة" التي تسمح للأرض والسماء، وتدقق الأعماق وقوة الأعلى بأن تتقابل وتتفاعل. وفي هذا التفاعل يتم القرب والإظهار والإحضر؛ أي يكون الوجود. ويعنى ذلك أن "اللغة" عند هايدجر هي "سيدة العلاقات"، وبحركة العالم، وكاشفة الوجود؛ فهي التي تعطي وتمنح، تحفظ وتحمي، وعلى الإنسان أن يسكن في بيتها، ويحرسه ويرعاه^(٤).

وإذا أردنا البحث عن فكرة "الرباع" في "قصيدة تزاكل" سوف نجد أن البيت والمنصدة في المقطع الأول من القصيدة يربطان الفنانين بالأرض - earth Erde، وبالأشياء التي تم تسميتها، ونداء هذه الأشياء يضم إليها السماء والأرض من جانب، والفنانين والخالدين من جانب آخر، وكل عنصر من هذه العناصر الأربعة يتوحد في

(١) عبد الغفار مكاوي: تداء الحقيقة، ص: ٢١٦.

(٢) نفس المرجع.

(3) Kockelmaus, J.J ; "On The Truth..", P. 154.

(٤) عبد الغفار مكاوي: تداء الحقيقة، ص: ٢١٧.

إتجاه كل منها إلى الآخر، ووحدة الرباع هذه هي ما يطلق عليه هايدجر اسم العالم^(١) Welt- World .

ذهب هايدجر إلى أن المقطع الأول من القصيدة "يتحدث" من خلال دعوة الأشياء إلى الحضور^(٢) .

والمقطع الثاني "يتحدث" بطريقة مختلفة :
"بعض من المتجولين

يقفون عند البوابة في الدروب المظلمة"

فهو ينادى ويسمى الفانين ، ولا ينادى كل الفانين وإنما "بعض" الفانين
فحسب الذين يتجولون في الدروب المظلمة، وهؤلاء الفانين مقبلون على الموت
كما أن المتجولين يتجهون نحو الموت ، حيث يتألق في الموت الكسف

(1) Heidegger, M. : "Die Sprache..", S.19.

(2) Ibid., S. 20.

الرباع عن الوجود^(١)

إذن على المسافرين على الدرب العظيم أن يقطعوه تجوالاً طلباً للبيت
والمنفعة، وعليهم أن يقوموا بذلك لا لأنفسهم وإنما من أجل عدد كبير من البشر
حتى يتحقق معنى السكن والإلف مع الأشياء .

البيتان التاليان يسميان الأشياء -الباب- الدروبي المظلمة ، وهما بذلك
يسميان "العالم" بوضوح ، ولكنهما يسميان أيضاً وبشكل فجائي شيئاً مختلفاً كل
الاختلاف :

"وتثمر شجرة النعم ثمارها الذهبية

من العصرة الرحبة للأرض "

يبدو من البيتين السابقين أن الشجرة جذورها ممتدة في "الأرض" ، ولذلك
لهي تتمو منفحة لنعمة "السماء" . إن القصيدة تسمى "شجرة النعم" ، وفيها يجتمع
رباع العالم ؛ علماً بأن كلمة "العالم" لم تعد تستخدم إستخداماً ميتافيزيقياً فلم تعد
تصف الطبيعة أو التاريخ أو اللاهوت ، ولم تعد تعني مجموع الكائنات الحاضرة .

إذن البيتان الثالث والرابع من المقطع الثاني هما بمثابة نداء "شجرة النعم"
ودعوة لحضور العالم ، وهذه الدعوة هي دعوة رباع العالم ، وهي عن ثم دعوة
العالم إلى الأشياء ؛ فضلاً على أن التأكيد على كلمة "ذهبي" يحقق الانكشاف للشئ
أو يحفظ بهاءه وروعة مظهره^(٢)

(1) Ibid.,

(2) Ibid., S. 20-21.

إذن السقطع الأول من التصيدة يدعو "الأشياء" إلى الحضور في العالم،
والمقطع الثاني يدعو "العالم" إلى الحضور بالنسبة للأشياء؛ والدعوتان مختلفتان
ولكن لا منفصلان، بل ينتمى كل منهما إلى الآخر، ويتغلغل كل منهما في الآخر؛
وبمع ذلك فلا يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر، وهما في "قربهما" الأبدى يتقى
كل منهما منفصلاً عن الآخر^(١).

هذه الصلة الحميمة بين العالم والشئ لا وجود لها إلا عندما يفصل كل منهما
عن الآخر بوضوح، ويسمى هايدجر هذا الاتقام "بالتفريق"^(٢)
Unterschied-the difference. وفي هذا التفريق يتم حضور الأشياء وصلتها
الحميمة بالعالم، علماً بأن هذا التفريق إنما هو ظاهرة فريدة، ولا يؤخذ هنا بمدنى
الاختلاف بين أنواع متعددة؛ إنه اختلاف فريد يستبعد الوسط، ومن خلاله يصبح
العالم والأشياء في وحدة؛ فهو يوجه العالم نحو الأشياء، والأشياء نحو العالم، وليس
هذا الفرق "شيئاً" ثالثاً تضيفه إلى العالم والأشياء؛ إنه بالأحرى يحدد العالم والأشياء
في حضورهما، وفي وجود كل منهما في اتجاهه نحو الآخر^(٣).

ومن ناحية أخرى فإن هذا "التفريق" لا يمكن تجريدده عن العالم والشئ بوصفه
العلاقة بينهما؛ فهو يكشف عن "الحادث" appropriation -
das Ereignis في الأشياء عندما تُحضر العالم، وفي العالم في علاقته بالأشياء^(٤).

(1) Kockelmans, J.J. : "On the Truth..." P.155.

(2) Heidegger, M. : "Die Sprache..", S. 22.

(3) Kockelmans, J.J. : "On the Truth..." P.155.

(4) Heidegger, M. : "Die Sprache..", S. 22.

إذن يمكن القول بأن البيت الأول من المقطع الثاني من القصيدة يدعو الأشياء إلى الحضور ، والبيت الثاني يدعو العالم إلى الحضور ، والبيت الثالث يدعو إلى العلاقة بين العالم والأشياء ، ويدعوهما إلى الصمت ، وهذا البيت الأخير يدعو إلى "الفرق" ، وهو لا يدعو إلى التفكير فيه أو إلى التفكير في ماهيته عن طريق "التسمية"؛ إنه بالأحرى يدعو إلى البعد الذي يحققه هذا الفرق في وساطته بين العالم والأشياء ، كما أنه يدعو إلى الأشياء والعالم معاً ، وهو بذلك يدعو إلى الفرق بينهما ، ولكنه يدعو دعوة صامتة .

ويمكن القول بأن الدعوة الأولى إلى القرب بين الأشياء والعالم هي بمثابة نداء حقيقي، وهي دعوة تعبر عن ماهية حديث اللغة؛ "اللغة تتحدث" حقاً ، ما يدعو إليه يأتيها من خارج الفرق إلى مجاله الداخلي حيث تستقر الأشياء في العالم، وبذلك يحزر "الفرق" الأشياء ليحقق كل منهما وجوده الخاص .

ويعنى ذلك كما يرى هايدجر أن اللغة في أصلها النهائي هي حدوث للفرق الأنطولوجي بوصفه "كوجوس"؛ فاللغة تحدث بوصفها ذلك الفرق الموجود بين العالم والأشياء ، أي أن "نداء الفرق" ليس صادراً من الإنسان بل العكس هو الصحيح ؛ فما هو إنساني يصبح كذلك عن طريق اللغة، ويتحقق له الحضور في ضوء حديث اللغة ، ومع ذلك فإن هذا الحضور يحدث فقط بمقدار ما تحتاج ماهية اللغة إلى حديث الفانين من البشر⁽¹⁾.

* * *

(1) Kockelmans, J.J. : "On the Truth..." P.155- 157.

إذن المقطع الأول من القصيدة يدعو الأشياء إلى الحضور والمقطع الثاني يدعو العالم للحضور حيث تكفل عالمية العالم حضور الأشياء ؛ أما المقطع الثالث والأخير فهو يدعو إلى حضور الصلة الحميمة بين العالم والأشياء ، ولذلك يبدأ هذا المقطع على النحو التالي :

ويدلف المتجول إلى الداخل
والألم قد أحال البوابة إلى حجر
وهناك يسطع فرق المائدة
ناصعاً ونقياً الخبز والتبيد

ولكن القصيدة لا توضح إلى أين يتجه النداء ؛ بل تدعو المتجول إلى الصمت الذي يقف متربصاً عند البوابة، ولجأة يتحول النداء إلى "الألم" الذي حول البوابة إلى حجر ، وهذا البيت في رأي هايدجر يتحدث عن موضوع القصيدة بأسرها ؛ فهو يسمى "الألم" والقصيدة لا تفسر أي ألم هذا ؛ ولا توضح إلى أي مدى يُنادى على الألم ؟

ويلاحظ هايدجر أن هذا البيت هو البيت الوحيد في القصيدة الذي صيغ في صورة الفعل الماضي ؛ الألم قد "حول" البوابة إلى حجر ، ومع ذلك فهو لا يتحدث عن شيء مضى ولم يعد حاضراً ؛ وإنما يسمى شيئاً باقياً دوماً ؛ ففي عملية التحول إلى حجر تبقى البوابة حاضرة ، وعن طريق تلك البوابة يسرى كل ما بالخارج إلى الداخل والعكس صحيح⁽¹⁾ .

(1) Heidegger, M. : "Die Sprache.", S. 23- 24.

ولكن ماهى طبيعة الألم - Schmerz - Pain فى هذا القاطع ؟ إنه بمثابة صدع Riss- Rift ولكنه لا يتزرق إلى شدرات ، فهو يجذب كل شئ إليه ويجمعه من جديد ؛ وهو العنصر الذى يحتق الانقسام والوحدة بين الأشياء. إنه هو "الوسيط" الذى يجمع بين الأشياء ، أو هو الفرق ذاته^(١) :

والألم قد حول البوابة إلى حجر

هذا البيت يسمى "الفرق" ، ولكنه لا يدعو طبيعته بذكر اسمه ؛ إنه بالأحرى يدعو الفصل الذى يقوم به الوسيط ، كما يدعو الجمع بين الأشياء ، وهو بذلك يعقد صلة حميمة بين العالم والأشياء ، وينبئى ألا نظن أن هذا الألم إحساس أنثروبولوجى يجعلنا نشعر بالمعاناة أو العذاب ، كما لا ينبغي أن نفكر فى هذه الصلة من الناحية النفسية بوصفها تعبيراً عن حالة انفعالية :

وهناك يطع فوق المائدة

الخبز والنبيذ ناصعاً تقياً

أين يطع الضوء النقى الخالص فى هذين البيتين ؟ إنه يطع على البوابة فى مستقر الألم ، حيث يلمع بريقه ويتلألأ ، ويحتوى فى داخله على ضوء العالم وبريقه ، وفى ذلك البريق يتحقق للخبز والنبيذ بريقهما الخاص .. إن الأشياء العظيمة تتلألأ فى بساطة شيبتيها : فالخبز والنبيذ هما فاكهة السماء والأرض ، وهما من هبات الإله والغائبين ، كما أنهما يحتقان رباع العالم الفريد حين حصولها على الشعور بالرضى والاكتفاء فى تركها رباع العالم ليستقر معها .

(١) "Der Schmerz ist der Unter- Schied selber". (Cp. Heidegger, M.: "Die Sprache..", S. 24.

إذن المنقطع الثالث من القصيدة يدعو العالم والأشياء إلى "الوسيط" الذي يجمع بينهما في صلة حميمة ، وهذا الوسيط هو الأليم^(١) .

ذهب هايدجر إلى أن "التسمية" التي تدعو إلى الصلة الحميمة بين العالم والأشياء للحضور هي التسمية الحقيقية^(٢) ، وهذه التسمية هي ماهية الحديث التي تنضح من موضوع الحديث في القصيدة ، إنه حديث اللغة . إذن اللغة تتحدث كما سبق أن بينا ، وهي تتحدث بتسمية موضوع الحديث: الشئ - العالم^(٣) ، والعالم - الشئ^(٤) تدعوها للحضور في الفرق بينهما ، وهذا الحضور يدعو العالم والأشياء من خارج الفرق إلى داخله .

إن الفرق يترك شئية الشئ *das Dingen des Dinges* - *The thinging of the thing* لتستقر في عالمية العالم ، *Worlding of the* ، وهذا الفرق يتبع الشئ ليتقر في رباع العالم ، *Welten der Welt - World* ، علماً بأن هذا الاستبعاد *expropriation* لا يلغى الشئ ، وإنما يحقق وجوده الخاص^(٥) .

يرى هايدجر أن "الفرق" ليس تمييزاً ولا تلاقية ؛ إنه بالأحرى "بعد" *Dimension - Dimension* للعالم والأشياء ، وفيه يستقر العالم والشئ ، وهو "بعد" بمقدار ما يصنع من مقاييس للعالم والشئ كل من زاويته ، وهذا "المقياس"

(1) Ibid., S. 25.

(٢) *Das eigentliche Heissen- authentic bidding* .

(٣) *Ding- Welt, Thing - World* .

(٤) *Welt - Ding , World - Thing*

(2) *Ibi- S. 26.*

Ernessen- alletment يحقق الانفتاح بينهما ، ويوجه كل منهما إلى الآخر ، إذن "الغرق" وسيط بين العالم والأشياء يقيس حضورهما ، وفي التسمية التي تنادى الشئ بالعالم ما يناذى ، بحق إنما هو ذلك "الغرق"^(١) .

أما عن الاستقرار الذي يحققه "الغرق" فهو يعنى البقاء في الصمت stillness die stille- فالغرق " يحقق السكينة للشئ ، كما أن الشئ يحققها للعالم .

والغرق يحقق السكينة بطريقة مزدوجة : عن طريق ترك الأشياء لتبقى في حضور العالم ، وترك العالم ليكتفى بنفسه في الشئ"^(٢) .

وأما عن ماهية الصمت فيرى هايدجر أنه ليس مجرد انعدام الصوت Lautlose- Soundless ، ففي انعدام الصوت يظل الالتقار إلى الحركة أو الصوت موجوداً ، ولكن الصمت من حيث الماهية يصمت^(٣) ، وفي هذه الحالة يرى هايدجر إنه يكون متحركاً ومضطرباً أكثر من أي شئ آخر"^(٤) .

إن "الغرق" يحقق السكون أو الصمت بطريقتين : إنه يصمت في الأشياء من حيث شئيتها ، وفي العالم من حيث عالميته ، وعندما يجمع "الغرق" كلاً من العالم والأشياء إلى ما بينهما من صلة حميمة ، فهو يدعوها إلى الحضور لماهيتها الخاصة.

(1) Ibid., S. 23.

(2) Ibid., S. 26.

(٣) "„Die Ruhe aber hat ihr Wesen darin, dass sie stillt" .

(3) Ibid., S. 26.

ومن ناحية أخرى فإن "الفرق" هو "التسمية"، وتسمية الفرق تجمع كل منادى إلى داخل نطاقها، واللغة تتحدث لأن تسمية "الفرق" تتأدى العالم والأشياء إلى ما يجمعهما من صلة حميمة.

واللغة بوصفها "رنين الصمت"^(١) هي التي يحدث فيها "الفرق" بين العالم والأشياء، علماً بأن هذا "الرنين" ليس إنسانياً بل العكس هو الصحيح؛ فالإنسان من حيث ماهيته "معطى ذو طبيعة لغوية" sprachlich-linguistic، وكلغة لغوي في هذا السياق تعنى الحدوث من جراء كلام اللغة، وما يحدث أو الموجود الإنساني يتم حضوره إلى ذاته عن طريق اللغة؛ وفي هذا الحدوث الذي يتم في حضور الصمت تحتاج اللغة إلى حديث الفانين أو البشر المنصتين إلى حديثها.

وبقدر ما ينتمي الفانون إلى "نداء الصمت"، يصبحون قادرين على الحديث بطريقة متميزة من خلال الحديث. وبذلك يصبح حديث الفانين نداء يدعو العالم والأشياء إلى الحضور^(٢):

يرى هايدجر أن التسمية الحقيقية في حديث الفانين هي بمثابة موضوع الحديث في القصيدة، وأن الشعر الحقيقي^(٣) يختلف عن الأسلوب الذي تستخدمه اللغة في الحياة اليومية؛ بل إن اللغة اليومية لغة منسية، وكذلك الكلام اليومي das alltägliche Reden، يصبح مستهلكاً إلى حد يصعب معه أن يصدر عنه أي نداء^(٤).

(١) das Geläut der Stille - the peal of Stillens .

(1) Ibid., S. 28 .

(٢) ذهب هايدجر إلى أن النثر الحقيقي ليس نثراً قط؛ إنه شعري - dichterisch

Poetic، وهو من ثم نادر ندرة الشعر Poesie- Poetry .

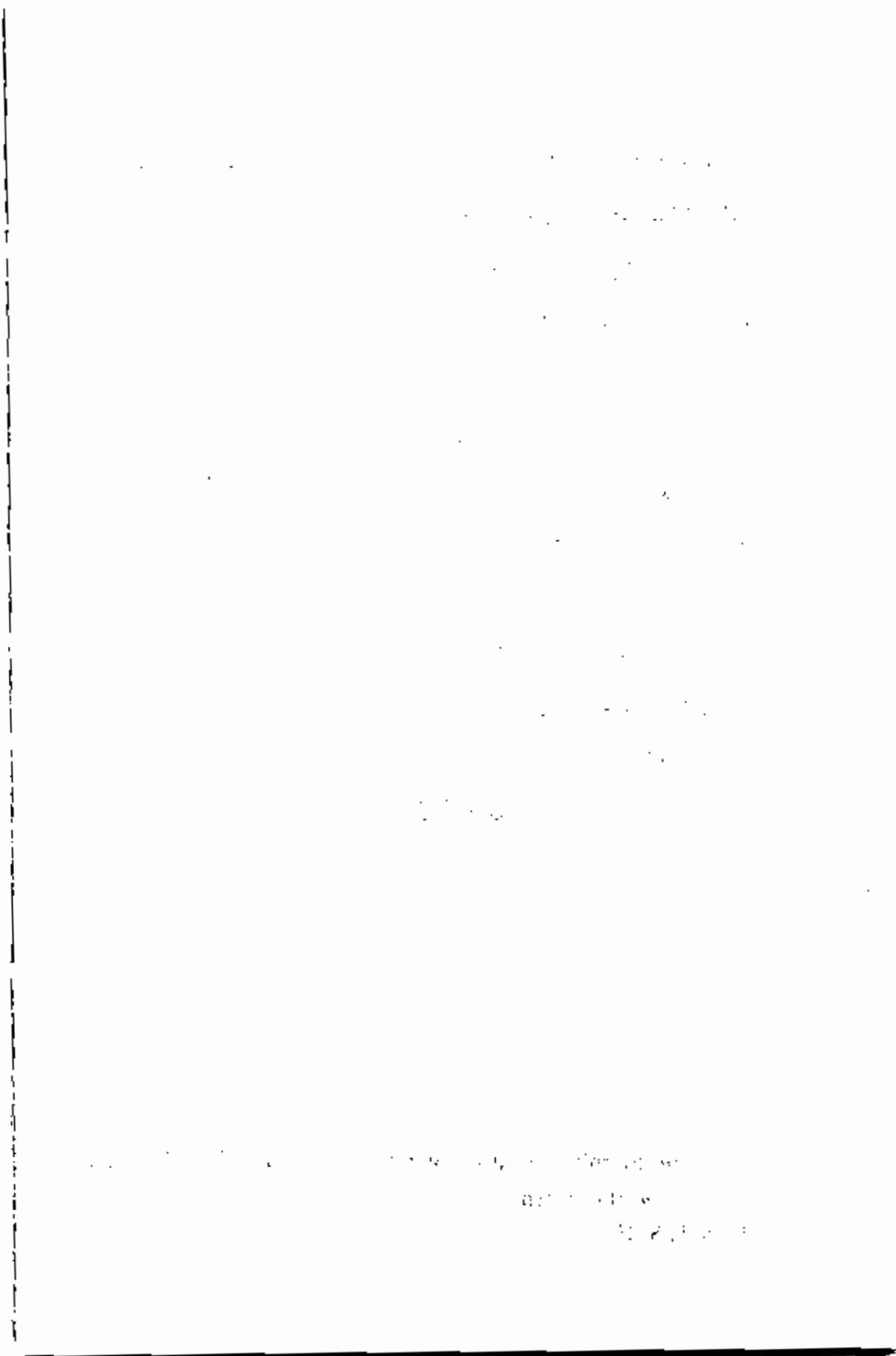
(2) Ibid., S. 28 .

وإذا اعتبرنا أن الكلام الإنساني هو الصوت -Voicing- Verlautbarung الصادر من باطن الإنسان ، فإن ماهية اللغة ليست إلا تعبيراً أو نشاطاً إنسانياً . ولكن كيف ينكر الصمت في الحديث أو حتى في الكتابة ؟ وكيف يمكن أن نعبّر عن هذا الصمت في كلمات ؟ وكيف يشكل حديث الفالين ، ونستمع إليه في أبيات من الشعر أو في عبارات من اللغة ؟

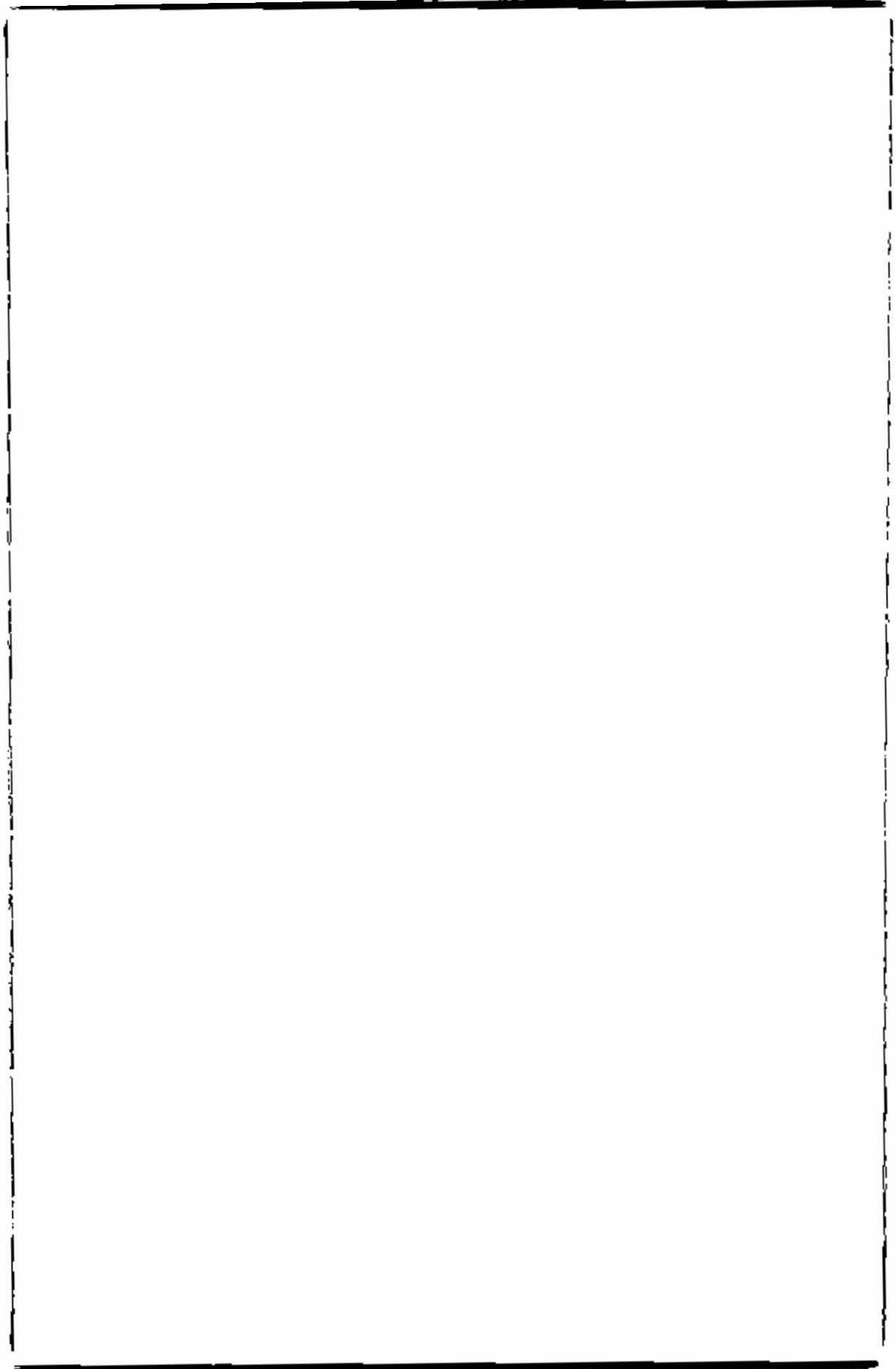
إذا نجح "التفكير" يوماً ما في الإجابة على هذه التساؤلات ، فعلياً أن ننظر إلى "التعبير" der Ausdruck- expression وحده بوصفه العنصر الحاسم في الحديث الإنساني ، كما ينبغي علينا أن ندرك أن الفالين يتحدثون بمقدار ما ينعثون^(١) ، وهم في ذلك يلتفتون إلى نداء الصمت "للفرق" ، وانصاتهم ينبعث من تسمية هذا الفرق . يرى هايدجر أيضاً أن "الفالين" يتحدثون عن طريق "الاستجابة" للغة بطريقة مزدوجة: التلقى Receiving - Entnehmen ، والإجابة Replying - Entsprechen ، بناءً على أن كل إنصات حقيقي das - authentic hearing ، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقول الحقيقي^(٢) .

(٢) "Die Sterblichen sprechen, insofern sie hören- Morals speak insofar as they listen".

(١) Ibid., S. 29 .



خاتمة البحث



نحاول في خاتمة البحث الإجابة على الأسئلة الثلاثة التي سبق أن طرحناها

في المقدمة وهي كما يلي :

س ١ : كيف أحدث هايدجر ثورة كوبرنيقية في تفسيره للأصل الأنطولوجي للغة ؟

س ٢ : ما معنى الدخول في تجربة مع اللغة عند هايدجر ؟

س ٣ : كيف تتحدث اللغة في لصيدة "تراكل" من وجهة نظر هايدجر ؟

أما عن السؤال الأول فيمكن الإجابة عليه في ضوء ما يلي من نتائج أمكن

التوصل إليها في سياق البحث :

(أولاً) : أصبح الوجود الإنساني "الجهة" التي تتحدث إليها اللغة ، ولم تعد اللغة

مجرد أداة ، وأصبح حديث الإنسان مجرد رد فعل لحديث اللغة، ويفترض

ذلك ضمناً إنصاته إلى لغة الوجود .

(ثانياً) : أصبحت اللغة - في فكر هايدجر المتطور - الوجود ذاته في صورة كلمات ،

وأصبح حديث الإنسان الحقيقي "إستجابة" لصوت الوجود الصامت، مما

يعنى أن الإنسان يكشف ذاته لفظ من خلال اللغة، ويصل إلى الحقيقة فقط

عندما يتوجه "منصتاً ومتحدثاً" نحو قول الوجود.

(ثالثاً) : أصبحت "اللغة بيت الوجود" بمعنى أن اللغة تكشف عن الوجود ذاته،

وبمقدار ما يتم التعبير عن الوجود ، تصبح اللغة لغة الوجود كما أن السحب

سحب السماء .

(رابعاً) : أصبح "الوجود" لغة اللوجوس في ضوء ما يحققه من انفتاح للموجودات،

واللوجوس يعدنا بالأساس اللازم للإستخدام الحقيقي للكلمات ، وهو ما

يدركه المفكرون والشعراء بحق ؛ فاللوجوس هو القول الأصلي للوجود ؛
والكلام الحقيقي إستجابة لهذا القول .

(خامساً) : أصبح الشعر عند هايدجر النشاط الذى يخلق ، ويشكل ، ويتحقق على
صورة كشف أنطولوجى ، وهو النشاط الذى يؤسس الحقيقة . واللغة الحقيقية
أو (الشعر) هى التى تحقق للموجودات الحضور فى انفتاح الحقيقة . وقصيدة
"تراكل" مثال على ذلك .

وأما عن السؤال الثانى : ما معنى الدخول فى تجربة مع اللغة من وجهة نظر
هايدجر ؟ فيمكن الإجابة عليه فى ضوء ما أحدثه هايدجر أيضاً من ثورة فى قلبه
لعلاقة الإنسان باللغة رأساً على عقب ؛ فالإنسان لا يكون إنساناً إلا عندما ينصت إلى
نداء اللغة ؛ فاللغة هى الأصل ، والإنسان "علقى به" فى رحابها ، وتجربة اللغة ليست
من صنع الإنسان ، وهو يخضع لها ، ويتقبلها ، ويحملها عند حدوثها ، فإذا ما عثر على
طريقه إليها ، تكونت لديه تجربة أصلية مع اللغة تسمى صميم وجوده .

ويترتب على ذلك ما يلى من نتائج :

(أولاً) : "الدخول فى تجربة مع اللغة" معناه الانتباه إلى علاقة الإنسان باللغة ، وتأمل
سكنه فيها "فاللغة تتحدث ، وحديثها حضور للموجودات ، كما يعنى الإنصات
إلى حديث اللغة ، فترك ما تقوله يتحدث بنفسه إلينا وفقاً لأسلوب وجودنا
المنفتح على حديث اللغة .

(ثانياً) : "الدخول فى تجربة مع اللغة" معناه أن ماهية اللغة هى لغة الماهية ؛ أى أن
أصل اللغة يفيد الحفاظ والعطاء ، ويتصل بصميم وجودنا ، ويحركه ، وينسجى
إلى الماهية التى تحرك وتمنح ، إذن ماهية اللغة ترتبط بالقول الأصلي

يوصفه إيضاحاً وكشفاً .

(ثالثاً) : "الدخول في تجربة مع اللغة " معناه أيضاً إدراك العلاقة بين الشعر والتفكير . على اعتبار أن الشاعر هو حاس الكلمة ومدبرها . إن الشعر والتفكير يحتاج كل منهما إلى الآخر كي يتأسس الوجود ، ويمتل كل منهما طريقة في انقول الأصلي : المفكر يتحدث عن الوجود ، والشاعر يسمى المقدس : فالشعر انفتاح للموجود ، وهذا الانفتاح يحمل معاني البدء ، والتأسيس ، والتهبة .

وأما عن السؤال الثالث : كيف تتحدث اللغة في قصيدة "تراكل" ؟ فيمكن الإجابة عليه في ضوء ما يلي من نتائج :

(أولاً) : القصيدة توضح كيف تترك اللغة العالم ليكون موجوداً ؛ والمقطع الأول منها يدعو "الأشياء" إلى الحضور ، والمقطع الثاني يدعو "العالم" إلى الحضور ، أما المقطع الثالث فيتناول "الفرق" بين العالم والأشياء ، ويحدث هذا الفرق عن طريق الوجود بوصفه لولاً .

(ثانياً) : "التسمية" في القصيدة "تداء" ، والتداء يقرب "المنادى" ، ويحقق الحضور للموجودات كي تصبح أكثر قرباً بعد أن كانت محتجبة في الغياب ، كما أن التسمية "دعوة" للأشياء كي يتحقق لها الحضور في العالم ، وهي دعوة "لعدد الكبير من البشر" المعبر عن "القائمين" في القصيدة ، ويتضح من هذه الدعوة أن التسمية الحقيقية في حديث القائمين هي موضوع الحديث في القصيدة .

(ثالثاً) : لغة القصيدة تتحدث عن تفاعل رباع العالم : الأرض - السماء - القائمين - الخالدين ، وفي هذا التفاعل يصبح "القرب والقول" كشفاً عن الموجودات .

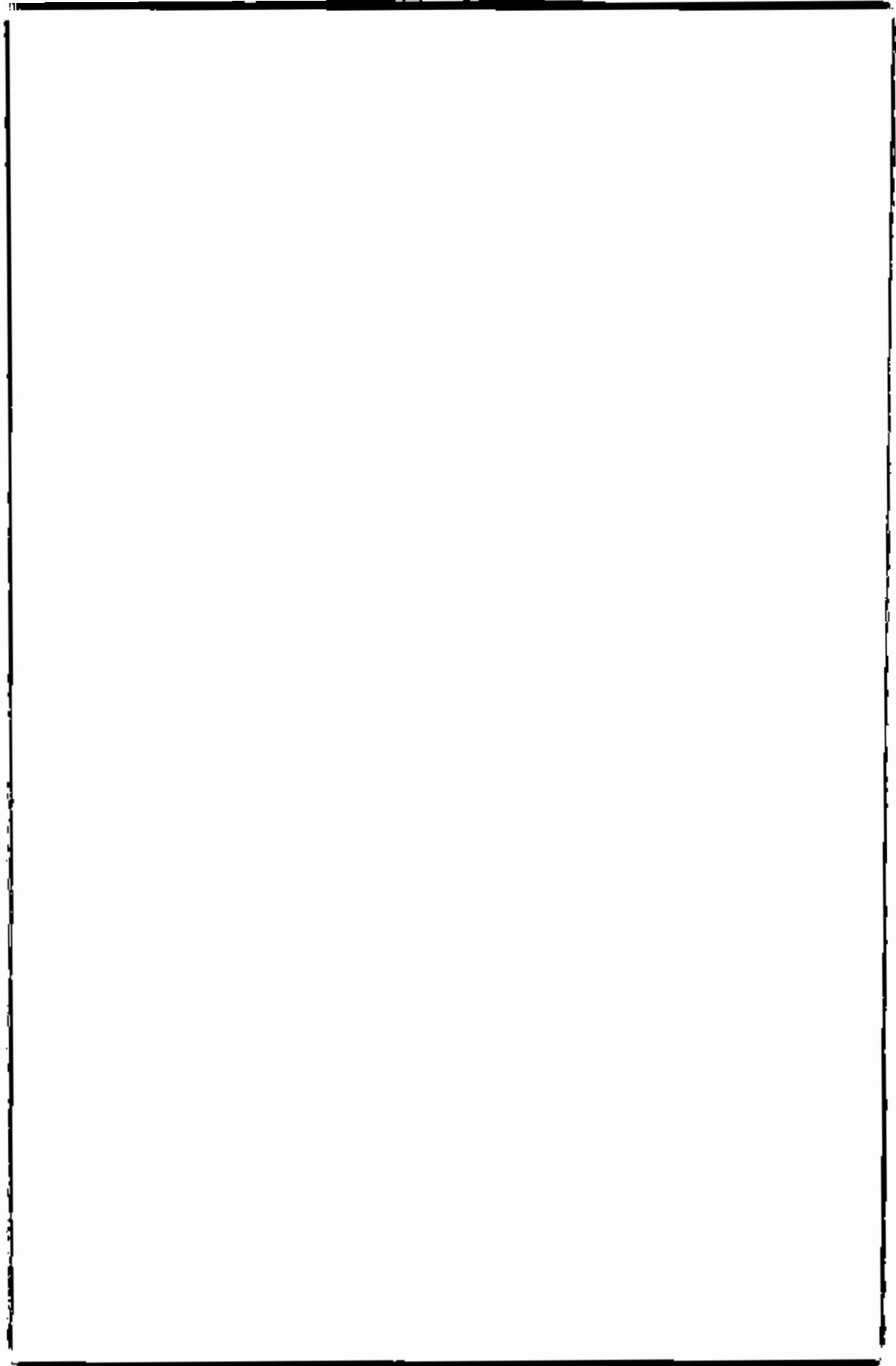
فاللغة هي سيدة العلاقات ، وكاشفة الوجود ، وعلى الإنسان السكن في بيتها ليحرره ويرعاه .

(رابعاً) : لغة القصيد في أصلها النهائي حدوث "الفرق الأنطولوجي" بين العالم والأشياء بوصفه "لوجوس" ، علماً بأن نداء الفرق ليس إنسانياً ، وما هو إنسانى يتحقق له الحضور من خلال حديث اللغة ؛ وعلماً بأن "الفرق" يتبعه الشئ ليستقر في رباع العالم ، وهذا الاستبعاد لا يلقى الشئ ، وإنما يحقق وجوده الخاص .

(خامساً) : "الفرق" في القصيدة "بعد" للعالم والأشياء ، وهذا البعد يحقق الانفتاح بينهما ، ويوجه كل منهما إلى الآخر ، كما يحقق السكنية والصمت لكل من العالم والأشياء . والقانون (أو البشر) في لغة القصيدة يتحدثون من خلال الاستجابة المزدوجة للغة المتمثلة في "التلقى" ، و"الإجابة" .

(سادساً) : "الألم" في المقطع الأخير من القصيدة يجذب كل شئ ويجمعه من جديد، ويحقق الوحدة والانتصال بين الأشياء ؛ إنه "الفرق" ذاته الذى يعقد صلة حميمة بين العالم والأشياء أو بين الوجود والموجود وفقاً لتعبير هايدجر .

قائمة بأهم المصادر والمراجع



(أولاً) مصادر ألمانية :

- Heidegger, M. : ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache),
Vittorio Klostermann, Frankfurt am Main,
Gesamtausgabe, Band 12, Germany, 1985.

(ثانياً) مصادر أجنبية مترجمة :

- Heidegger, M. : "Poetry- Language- Thought", trans. by A.
Hofstadter, Harper & Row Publishers, New
York, U.S.A., 1975 .

(ثالثاً) مراجع أجنبية :

- Halliburton, D.: "Poetic Thinking - An Approach to
Heidegger" The Uni. of Chicago Press Ltd,
London, 1981.
- Kockelmans, J.J. : "On The Truth of Being- Reflections On
Heidegger's Later Philosophy", Indiana
University Press, Bloomington, U.S.A.,
1984.
- Langan, T. : "The Meaning of Heidegger-Acritical
Study of an Existentialist Phenomenology"
Routledge & Kegan Paul, London, 1959.

- Richardson, W.J. : "Heidegger, Through Phenomenology to Thought", Preface by M. Heidegger, Martinus Nijhoff, The Hague, Netherlands, 1963.
- Sokel, W. : "The Writer in Extremes in 20 th Century German Literature , Stanford Uni. Press, California, U.S.A., 1968 .
- Winfried, F. : "M. Heidegger", J.B Metzlersche Verlagsbuchhandlung , Gennany, 1970 .

(رابعاً) موسوعات ألمانية :

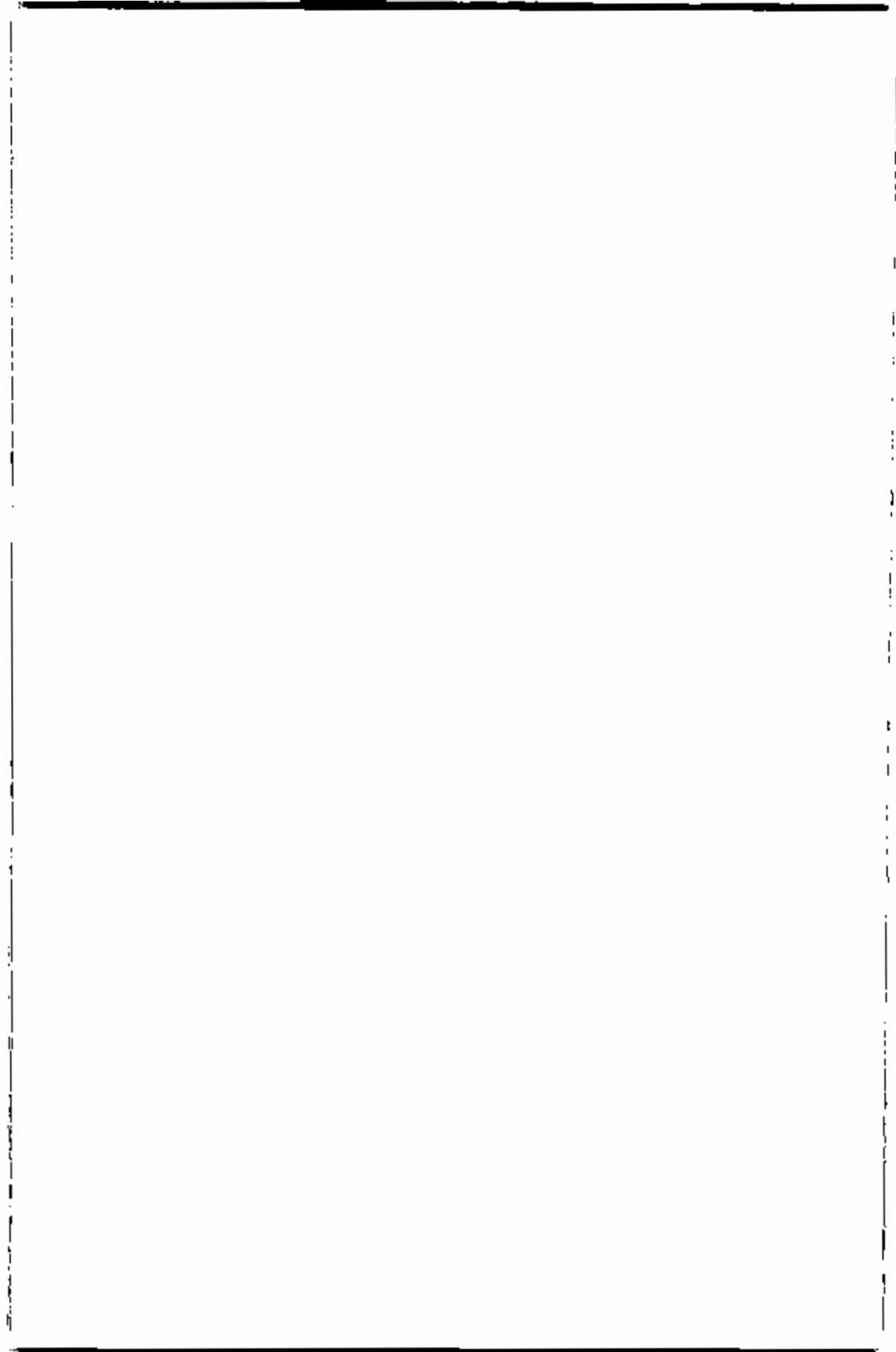
- Enzyklopädie : Weltliteratur im 20 Jahrhundert , Vol.4, herausgeg. von Praunck M., Rowohlt, Germany, Juni, 1981.

(خامساً) مراجع عربية مترجمة :

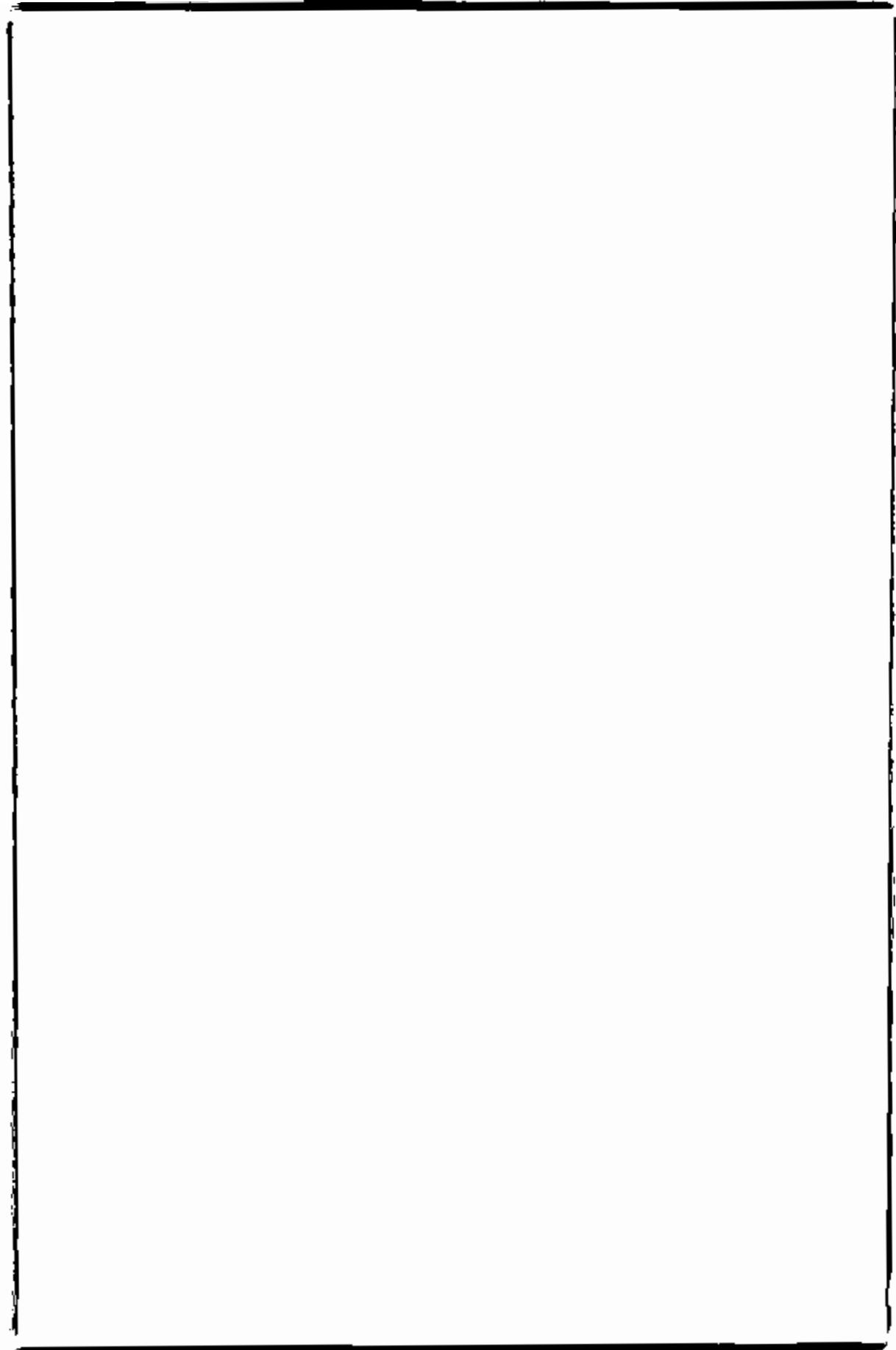
- مارتن هايدجر : "ما الفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدريين وماهية الشعر" ، ترجمة فؤاد كاتل، محمود رجب، مراجعة عبد الرحمن بدوي، سلسلة نصوص فلسفية ، دار الثقافة ، للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- "نداء الحقيقة" ، ترجمة وتقديم ودراسة عبد القفار مكاوي، سلسلة نصوص فلسفية (٩) ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

(سادساً) مراجع عربية

- عثمان أمين : " في "الفلسفة والشعر" ، مكتبة نفائس الفلسفة الغربية، الدار
القومية للطباعة والنشر ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٦٢ م.



ثبت بأهم المصطلحات
الواردة في البحث



(A)

المصطلح بالألمانية	المصطلح بالإنجليزية	المصطلح بالعربية
(das) alltägliche Reden	everyday discourse	الكلام اليومي
Abwesen	absence	الغياب
Anwesen	presence	الحضور
Ausdruck	expression	التعبير

(D)

Dichtung	Poetry	نظم الشعر
Dichter	Poet	الشاعر
Dimension	dimension	البعد
Dinge	things	الأشياء
(das) Dingen des Dinges	the thinging of the thing	شيئية الشيء

(E)

(das) echte Hören	authentic hearing	الإنصات الحقيقي
(das) eigentliche Heissen	authentic bidding	التسمية الحقيقية
(das) Enteignis	expropriation	الإستبعاد
(das) Entnehmen	Receiving	التلقى

(die) Entschlossenheit	Resoluteness	التصميم
Entsprechen	replying	الإجابة
Erde	earth	الأرض
Ermessen	allotment	مقياس أو مقياس
(das) Ereignis	appropriation	الحادث

(G)

Dedicht	Poem	القصيدة الشعرية
(das) Geläut der Stille	the peal of stillness	رنين الصمت
(das) Geviert	the fourfold, the quadrate, the foursome	الرباع
(das) Göttliche	the divine	الخالدون (رسل الربوية)

(H)

(das) Heilige	the holy	المقدس
(das) Heissen	the bidding	التسمية
(das) Herrufen	the calling	النداء

(L)

Lautlose	soundless	إنعدام الصوت (بلاصوت)
----------	-----------	--------------------------

Logos	logos	اللوجوس (الكلمة - القول.)
(N)		
(das) Nennen	the naming	التسمية
(O)		
Ontologische Differenz	Ontological difference	الفرق الأنطولوجي (بين الوجود والموجود)
(R)		
Rede	discourse, speech	الكلام
Rein Gesprochenes	purely spoken	موضوع الحديث الخالص
Riss	rift	صدع (شق)
(S)		
Sagen	Saying, utterance	القول
Sprache	language	اللغة
(die) sprache spricht	language speaks	اللغة تتحدث
Sprachlich	linguistic	لغوي (ذو طبيعة لغوية)
(die) Sterblichen	mortals	الفانون (البشر)

(die) Stille	stillness	الصمت
	(U)	
Unter - Schied	dif- fefence	الفرق (بين العالم والأشياء) (أوبين الوجود والموجود)
Ursage	Primordial Saying	القول الأصلي
	(V)	
Verlautbarung	Voicing	إصدار الصوت
	(W)	
Welt	World	العالم
Welten der Welt	Worlding of the world	عالمية العالم
Wesen	essence	الماهية
(das) Wesen der Sprache	essence of language	ماهية اللغة